الكلمة التي القيت في مؤتمر تيسير النحو الذي عقد بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦٠ ، وهي احدى الكلمات التي كان لها تأثير فعال . وتفخر البيان بنشر هذه الكلمة القيمة .

حول التيسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ
عبد السلام هارون

حقا ان دراسة النحو العربي دراسة صعبة ، كما ان من الحق ان دراسة قواعد كل لغة عالية امر صعب عسير المنال ، وليس الذنب ذنب هذه القواعد ، وانما هو علو اللغة وضخامة شأنها واتساع مراميها وتشعب اساليبها .

لكن اقول : هل انفرد النحو العربي من بين العلوم التي نقدمها الى ابنائنا في التعليم العام بهذه الصعوبة؟ وألم يوجد له نظير او مثيل يتسم بمثل هذه الصعوبة ؟!

الذي نعلمه حق العلم ويشهد به الحق ، ان هناك علوما اخرى مما نقدمه الى التلميذ ، تفوق النحو في جفائها وقسوتها . ومع ذلك لسنا نسمع من ينادي بتغييرها ، ويملأ الدنيا صياحا وضجيجا بضرورة هدم قواعدها ، او تبديلها ، او مسخها .

اليكم مثلا دروس الحساب ، التي يتلقاها الناشيء الصغير في غضاضة ومرارة لا نجد لهما مثيلا . ومسائل الحساب المعقدة التي ليس لها ضابط معين في حلها وفك رموزها التي

حول التيسير

تعصف بوقت التلميذ وتقتضيه زمانا هو ابعد مدى واطول امدا من تلك السويعات التي يقضيها التلميذ في دراسة النحو ، وتستنزف صبره ان لم تستنزف دمه .

واللغات الاجنبية التي تستعصى على الجمهور الاعظم من ابنائنا ، وكثير غيرها من العلوم التي نلقنها ابناءنا ، نلمح فيها كذلك صعوبة . وما انشئت هذه المدارس وشيدت هذه المعاهد الا لتعالج مشاكل التعليم، وتعاون التلميذ في التغلب على تلك المشاق ، وتذلل امامه السبيل ليخطو بين صعابها في كفاح مشترك بينه وبين استاذه .

كل هذا يحملنا على التساؤل عن تهمة هذا القدر اليسير من النحو ، الذي يتلقاه تلاميذنا في التعليم العام، كيف لصقت به هذه التهمة دون غيره، وكيف صور في هذه الصورة البغيضة التي تعقد لها المؤتمرات تلو المؤتمرات .

انها عقدة الاجيال الاستعمارية البائدة ، عقدة رجال العهد البائد ، عقدة الدم التركي والاجنبي ، الذي حاول ان يقضي على النحو تحت ستار الاصلاح ، بل حاول ان يقضي على اللغة الفصيحة ، بل حاول ان يقضي على الكتابة العربية باحلال الكتابة اللاتينية ، والح في ذلك الحاحا، وطال به العهد فلم ينل من ذلك منالا وخاب مسعاه وخسرت صفقته . ونسينا نحن لطول العهد هذا المحرك الاول لهذه الحملة الظالمة التي ادركنا طرفا من زمانها ، قضينا ه في الم الخائف ، وخوف الشفيق ، حتى ذهب عهده وولى الى غير رجعة .

ولقد كان المخلصون من ابناء هذا البلد يداورون تلك الرغبات الخفية، ويقدمون من عصارة انفسهم وذوب عقولهم ما يلهون به ذلك السلطان الغاشم ، ووجدنا في المغفور له الاستاذ على الجارم مظهرا من مظاهر الاخلاص العميق لهذا النحو ،ومحاولة تيسيره في منهج مرتضى ، وصورة من صور الوفاء لهذه البلاغة العربية ومحاولة تيسيرها في اسلوب واضح.

ولكن كما قلت نسى الناس ذلك المحرك الاول وارتابوا في انفسهم وفي مقومات قوميتهم ، ووجدت تلك الصيحات البعيدة من يستجيب لها بعض الاستجابة ، واختلطت رغبة الاصلاح بتلك الرغبات القديمة ، حتى صار من العسير تخليص هذه من تلك، وظن بعض الناس ان كل لمة من لمعات التغيير والتبديل انما هي اصلاح وتجديد .

وفي خلال هذه السنين الماضية صدرت قرارات في سنة ١٩٤٥ رضى عنها السلطان ، تنحو بهذا النحو وجهة ارتاح الناس في حينها لمطرقه. ولذلك لم تلبث ان وئدت في مهدها ، ولم يجرؤ احد على تنفيذها ، لان التيار العلمي العام وسلطان التيار العلمي العام اقوى من ان تصده تيارات خاصة مهما بلغت هذه التيارات من القوة والسلطان .

هذه كانت كلمة السلطان فيما مضى ، وتلك كانت طريقة ارضائه فيما سلف من الزمان ، فمن احدث حدثا جديدا رضى السلطان عنه ورضوا عنه ، وعد نابغة من نوابغ هذا الدهر .

ولكن كلمة السلطان في عهدنا هذا قد اساء فهمها قوم وظنوا انه يرضيه ما كان يرضى سلطان العهد البائد ، وفاتهم ان سلطاننا اليوم عاقل مخلص لا يفرط في حقوق قوميته ولا في حقوق تراثه ، فلم يقل السلطان للعلماء انه يسر بمسخ هذا التراث ، بل نادى السلطان بضرورة المحافظة على التراث الفكري الاسلامي ، وتولت الدولة في رغبه صادقة ونشاط واسع احياء هذا التراث والمحافظة عليه ، بل تولت احياء ذكرى علماء هذا التراث ، واعترفت لهم بفضلهم ونبوغهم ، لان دولتنا هذه دولة عاقلة .

فليس معنى تيسير النحو فيما راى السلطان ان نقضي على قواعده الاساسية ،وعلى اصطلاحات جمهور النحاة التي تشربتها الاجيال وسرت في العروق والدماء ، اعني عروق التراث الاسلامي ودماء الثقافة العربية ، فالترابط وثيق شديد الصلة بين علم النحو والبلاغة والتفسير والحديث والفقه الاسلامي ونصوص الادب العربي جاهلية واسلامية ، وبين كثير غيرها من فروع الثقافة الاسلامية . فكيف نصل التلميذ الذي ربى ونشأ في ظل هذا النحو الذي غيرت فيه المصطلحات ، وبدلت فيه الاصول المعترف بها ، كيف نصل هذا التلميذ بهذا التراث القديم ان شاء ان يتصل به ؟! ان لهذا التلميذ الحق كل الحق ان يتصل بهذا التراث . فكيف نحرمه من هذه الحرية العلمية . وباى سلطان نحرمه من حرية مزاولته لهذه العلوم القديمة التي وضعت كلها في ظلال موحدة، وفي جو مترابط متآزر ؟! كيف يفهم هذا الطالب علوم ابائه وقد حرمناه من المبادىء الاولية التي تقوده الى هذا الفهم وتنير امامه السبيل الى تلك الكنوز الفكرية الغالية ؟! ان مدرسة المستشرقين انما قامت على هذا النحو الاصيل ، وان من المؤسف ان نجد المستشرقين قد سبقونا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى رعاية علومنا وتقديرهـــا ، وان نلفيهم قد تقدمونا بعشرات السنين ، وظهرت عيونهم على امهات كتب النحو قبل ان تظهر عليها عيوننا . فكتـــاب سيبويه سبق الى نشره المستشـــرق « ديرنبرج »مع تعليقات ومقدمةباللغة الفرنسية في باريس سنة ١٨٨١ اي منذ ثمانين سنة على حين كانتطبعته المصرية سنة ١٩٠٠ اي منذ ستـــين سنة .

وشرح المفصل لابن يعيش نشره المستشرق « ياهن » في ليبسك سنة ١٨٧٦ اي منذ ٨٤ سنة ، ولم تـــره المطبعة العربية الا منذ ٣٠ سنـــة .

ومن قبل ذلـــك . وفي العصـــور الاسلاميـــة الاولى تسابـــق الموالي والاعاجم الى تعلم النحو وتعليمـــه والتأليف فيه ، وتسابقوا كذلك الى صونه وحفظه والغيرة عليه .

وها نحن اولاء لا نرى اليوم بأسا ان نباعد ما بين ابنائنا وبين هـــذا النحو الاصيل فنجعل فوق عيونهـــم غشاوة تحول بينهم وبين ابصاره ، ونحن فيما بين ذلـــك نتناسى حـــق عروبتنا وقوميتنـــا وتراثنـــا اللامـــع الضليع .

ماذا يفعل الطالـــب اذا اراد ان يتصل بهذا النحو الاصيل ، هل يمسك باحدى يديه مسندا وبالاخرى مسندا اليه ليبحث عن الفاعـــل ونائبـــه ، ويتلمس اضواء التعرف على المبتـــدأ والخبر ، واسم كان وخبرها واسم ان وخبرها . ثم تريه الكتب القديمة الضمير في زيد قام واضحا مطردا على حين قد نهاه استاذه في دنيا التيسير ان يتلمس هذا الضمير او يلقى اليه البال .

وهذا الطالب الذي استكمل التعليم العام ،ماذا يكون موقفه ازاء الدراسة الجامعية المتخصصة . كليات الاداب بالجامعات وكلية دار العلوم والمعاهد العليا ، كيف يواجه الطالب ما فيها من دراسة مباينة تمام المباينة لمادرسه في التعليم العام ، دراسة يتلقاها على ايدي اساتذة لا يعترفون بهذاالتبديل، وفي مراجع قد وضعت فيها المصطلحات النحوية وضعا متعارفا عليه ولاسبيل الى محوه وازالته .

قد يقال ان على الجامعة واشباه الجامعة ان تدرس منهجين متوازيين: احدهما المنهج الاصيل الذي تقـــوم عليه دراستها ناقدة ودراسة وباحثة، والاخر هذا المنهج المبـــدل المشيأ . وهذا امر مفرق في الخيال . فانـــه يجب على الجامعـــة اولا ان تؤمـــن بصحة ما تكلفه لان الجامعة لا تساق، وهي ان فرضنا ايمانها به او باشباهه لن تجد من الوقت ما يمكنها من تنفيذ الدراسين ، لان الوقت الذي انتزعته الجامعة الى الآن لدراســـة النحو لا يكفي لتحقيق منهج واحـــد بل ربـــع منهج واحد على وجه الصحة ،لضيق الوقت ولقلة الاساتـــذة المختصين ، فكيف تكلف الجامعة دراسة اضافية تتولى فيها ترجمة المصطلحات واعادة الاوضاع الى نصابها .

ثم متى يدرس هذا المنهج الجديد لطالب الجامعة وهو مكلف منذاللحظة الاولى ان يدرس الكتـــب الاصيلـــة والنصـــوص العربية ، ويتولاهـــا بالتحليـــل الاسلـــوبي على ضوء المصطلحات المتعارف عليها من قديـــم الا ان يقال له امهلنا سنة او سنتين حتى نصحح لك اوضاع النحو التي عرفتها من قبل وتعلم ان المسند هو الذي يقال له فاعل ويقال له اسم كان ايضا وحينا يقال له اسم ان ، ثـــم يقلب له نحو نصف اوضاع النحـــو رأسا على عقب .

ثم ان امر متابعة الدراسة ليس مقصودا على الجامعة واشباهها ، فقد يريد بعض الدارسين ان يتابعوا دراستهم من تلقـــاء انفسهـــم ، او يستفتوا كتب النحو الاصلية فيمشاكل التعبير ، او يرجعوا الى كتب التفسير او الحديث ،ليشبعوا رغبتهم العلمية، فكيف يتسنى لهم ذلك وقد نشأناهم تنشئة لا تمكنهم من الاتصال بهـــذا التراث الغني .

الحق ان تغيير المصطلحات النحوية مهما تكن نية الداعين اليه مما يعد جناية على علم اصيل يتسم بسمـــة دينية واضحة ، فان من اهم الاغراض التي دعت الى وضع هذا العلم ثـــم التبحر فيه وتشقيقه ، فهم كتاب الله وفهم حديث رسول الله ، واستنباط الاحكام الشرعية من كل منهما . فهو الوسيلة الاولى الى فهمهما وادراك احكامهما . فالنحو يهم امره كل مسلم بل كل عربي ، وليست المحافظـــة عليه الا محافظة على اصول اسلامية وتراث اسلامي لا نظن اننا نستطيع التفريط فيهما او نستطيع اغفالهما ، لاننا نزال بحمد الله امة مسلمة .

والحـــق ان القـــول بتبديـــل الاصطلاحات قول خطير ، وبطلانه من الوضوح بمكان ، الا ان يكابر مكابر ، او يعاند معاند .

اننا نرحب بالتيســـير المتـــزن ، ونرحب بالاصلاح المعقول وندعو الى كل منهما ، لكن من الظلـــم البين ان نسمى هذا الضرب من التبديل الذي رايناه في هذا النحو الجديد تيسيرا . لقد سيق اليه الطلاب سوقا ، ودفع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول التيسير

اليه الاساتذة والمدرسون دفعاء وانت حين تسأل المدرسين خارج حجرات الدرس عن رايهم في هذا الذي سمى تيسيرا ، تراهم كارهين له ساخطين عليه بل ان الذي اعلمه يقينا ويعلمه الناس يقينا ان كثيرا منهم يلجأ الى الطريقة السرية في التعليم ، ليزاوج بين ما يرضى عنه ضميره العلمي وما تقتضيه الامانة للاجيال الصاعدة ، وبين ما يحتمه عليه ما ينوء تحته من السلطان الوظيفي . واجاهر فاقول : ان النحو الاصيل لا يزال يدرس حتى الان وسيدرس بعد الان على وجهه الذي ارتضاه العلماء، وعلى الاصطلاح الذي درجوا عليه ، ولكنه يدرس الان في مصر في الخفاء وعلى طريقة التهريب العلمي ..

وانت تسأل الاباء واولياء امور التلاميذ عن رايهم في هذا الضرب من التيسير وهم الصق الناس بابنائهم واعرفهم بما يعانون من اضطراب في دراستهم لهذا النحو ، فترى منهم السخط الشديد والكراهية الصارمة.

وتسأل التلميذ فتراه في حيرة المضطرب وجمجمة الجاهل الشديد الجهل بما يلقى عليه من قول غامض.

لقد اخفقت ناحية التيسير هذه في زاوية المسند والسند اليه اخفاقا رائعا ، وافسدت بذلك جمهور النحو الذي يدرس في المدارس اليوم .

اننا لا نفهم تيسير الصعب بالاصعب منه ، ولم يقل احد في قديم الزمان وحديثه ان اصطلاح المسند والمسند اليه مما يعين عقل الصغير . لقد كنا كبارا في معهد دار العلوم ، وكنا نجد شيئا من العنت في فهم المسند والمسند اليه وتبادرهما الى الذهن ، وكنا نفكر شيئا من التفكير حتى لا نخطىء في الاجابة عن تعيينهما ، وكنا من قبل في المدارس الاولية القديمة نفهم لاول وهلة الفاعل والمفعول من الدرس الاول .

ثم ما الحكمة في ان نجمع ابوابا شتى من ابواب النحو لكل منها في النحو الاصيل حكم خاص واضح كالفاعل ونائبه والمتبدا وخبره ونسميها كلها باسم واحد ثم نعطي لهذا الاسم الواحد احكاما مختلفة يحار فيها التلميذ .

المسند يكون احيانا مرفوعا ويكون احيانا منصوبا ويكون مرة فعلا ومرة اسما واخرى ظرفا ويكون مرة جارا ومجرورا . والمسند اليه يكون احيانا مرفوعا واخرى منصوبا . فالتلميذ ان عرف المسند حار في حكمه وان وجد الحكم حار في تمييز المسند من المسند اليه . وان عرف السند اليه حار في حكمه ، وان عرف الحكم حار في تمييز المسند من المسند اليه .

فأي خدمة قدمها هذا التيسير الى هذا الصغير باحلال هذا الاصطلاح المعقد محل الاصطلاح السهل اللين .

لقد اخفقت ناحية التيسير كذلك في موقفها من الضمائر المستترة ، لاخلالها بموازين النحو وطرق ضبطه، وسوق قواعده المنضبطة المتساوقة التي تقول بأن لكل فعل فاعلا ولكل مبتدا خبرا ، ولكل موصول عائدا . وهي قواعد من اليسر والانضباط في مكان مكين .

واخفقت كذلك في موقفها من الضمائر المتصلة وجعلها علامة لنوع المسند اليه . للاسباب التي ذكرتها من قبل .

واما المكملات فهي اضافة عبء الى عبء . فبدل ان يقال للتلميذ هذا مفعول به قيل له هذه تكملة بالمفعول به . وهكذا يساق القول في سائر ما يسمى بالمكملات . ولم يرض التيسير باصطلاح المفعول المطلق ، اعني بهاتين الكلمتين السهلتين فقال تكملة لتوكيد الفعل مع انها تأتي احيانا لتوكيد الوصف من اسم الفاعل والمفعول ، وحينما طبق في الكتاب الذي اعتمدته وزارة التربية ادخل فيه ما هو مبين للنوع .

ولم يعجب التيسير اصطلاح المفعول لاجله فراى ان تكون تكملة لبيان السبب فاحل ثلاث كلمات محل كلمتين .

واما الظرف فهو تكملة بالزمان والمكان ، والحال تكملة بالحال .

ومن المؤسف حقا اننا حين نطالع منهج اللغة العربية للمرحلة الاعدادية في ص ٥٢ نجد هذين العنوانين : (ا) الاسس العامة (ب) اسس تيسير المنهج في مصر .

ما هذا ؟ أيكون لمصر نحو خاص ولسوريا نحو خاص ؟! وما هي الضرورة العقلية او الاجتماعية التي تدفعنا هذا الدفع وتلح علينا هذا الالحاح حتى نفصل هذا الفصل الثقافي بين بلاد شعب واحد وامة متحدة ؟!

نحن لا نشك في ان واضعي هذا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنهج رجال فاضلون مخلصون للغتهم ولقوميتهم ولكن التوفيق والسداد كثيرا ما يجانب المخلص . فقد تخشى الام الرءوم على ولدها لتنحيه عن خطر الرمضاء فتوقعه بيدها في خطر النار .

سبق في التاريخ رجال فضلاء مخلصون ايضا . ولكن صحبهم كثير من التوفيق والسداد . وان من درسوا النحو على كتب المغفور له حفني ناصف طيب الله ثراه والمغفور له الاستاذ علي الجارم اكرم الله مثواه . لا يزالون يذكرون لهما فضلهما في خدمة النحو العربي وتيسيره واساغته للدارسين . لقد كنا طلبة في هذه الدار دار العلوم وكنا نعول اكثر ما نعول على هذين الكتابين النافعين . وانا اعرف ان كثيرا من الدارسين لا يزالون يعتزون بهذين الكتابين اعتزازا ويتخذونهما مرجعا ميسرا .

اننا ننادي بتيسير النحو ، وبتيسير غير النحو ، بل بتيسير كل صعب في هذا الوجود ، ولكنا لا نغفر ان تمس اصول العربية استنادا الى اراء بعض شذاذ النحويين ، وارتكانا الى آراء فردية لا تمت الى مدارس ذات قدر موزون .

ان ابن مضاء الذي اتخذ اماما في هذا التيسير رجل لا يكاد يعي ما يقوله في النحو ، ونحن نقرأ كلامه حين يشن هجوما عنيفا على نظرية العامل ويتخيل امامه ميدان حرب يصول فيه ويجول ليقضي على كلمة النحويين، ان العامل يعمل في المعمول، فنرى قولا متهالكا . فأي فكاهة هذه التي نستخرجها من هذا الهجوم الذي يقول فيه :

« واما القول بان الالفاظ يحدث بعضها بعضا فباطل عقلا وشرعا لا يقول به احد من العقلاء لمعان يطول ذكرها فيما المقصد ايجازه . منها ان شرط الفاعل ان يكون موجودا حينما يفعل فعله ، ولا يحدث الاعراب فيما يحدث فيه الا بعد عدم العامل ، فلا ينصب زيد بعد ان في قولنا ان زيدا الا بعد ان .

فان قيل : بم يرد على من يعتقد ان معاني هذه الالفاظ هي العاملة ؟ قيل : الفاعل عند القائلين به اما ان يعمل بارادة كالحيوان . واما ان يفعل بالطبع كما تحرق النار ويبرد الماء . ولا فاعل الا الله عند اهل الحق . وفعل الانسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى ، كذلك الماء والنار وسائر ما يعمل . وقد تبين هذا في موضعه — يعني كتب الكلام — واما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل لا الفاظها ولا معانيها لانها لا تفعل بارادة ولا طبع » .

وهكذا نمط كلامه في زوايا كتابه العجيب . افنجعل من يفكر بهذه العقلية المنحرفة اماما لنا فيما نحن بسبيله من تيسير .

ان مذهب ابن مضاء الظاهري وعقيدته الدينية الخاصة افسدت عليه تفكيره في تعبير مجازي استعمله النحاة ليدلوا على ان العوامل دلائل تعنينا على ضبط ما يأتي بعدها او قبلها من معمولات . لكنه خلط واخرج دينه وعقيدته الخاصة ليستخدمهما في مهاجمة النحويين في اقوى معاقلهم فلم يضرها واوهى قرنه الوعل !

في استطاعة التيسير الصالح ان يقدم هذا النحو في ثوب جديد من حسن الاداء . او في ترتيب بديع من نظام العلم واسلوب عصري ملائم . وان يجاري المناهج الحديثة التربوية ويسير معها محتفظا باصوله وعناصره فلننظر :

اولا : في المناهج ، ومدى ما يؤخذ او يترك ، وما يقدم وما يؤخر .

وثانيا : في الطريقة ، على هدى الطرق التربوية الحديثة .

وثالثا : في الساعات المقررة لدراسة هذه المادة المظلومة في جميع مدارس الوزارة ومعاهدها .

فالمشكلة الرئيسية امامنا هي مشكلة المنهج لا مشكلة المصطلحات . اننا ننظر الى هذه المناهج في التعليم الابتدائي والاعدادي فنرى امورا جديرة بان تدرس على ضوء النحو الاصيل ويعاد اختيارها وتوزيعها على مختلف سني الدراسة الابتدائية والاعدادية بوساطة لجنة تؤلف من رجال الهيئات العلمية الرسمية المسؤولة عن تعليم النحو في اقليمي الجمهورية .

وننظر الى منهج التعليم الثانوي فنرى امرا يدعو الى الرثاء حقا . فان

حول التيسير

من المؤلم ان يجرد هذا التعليم من دراسة النحو تجريدا . فلا يدرس الا في سنة واحدة . دراسة هزيلة قوامها بابان من ابواب الصرف هما التصغير والنسب . اما السنتان الباقيتان من التعليم الثانوي فيسدل فيهما الستار على هذا العلم . لان الطالب زعموا قد وعاه واستوفاه .

ان هذه السنوات الثلاث هي الفرصة السانحة الملائمة للطالب العربي ان يتقن لغة بلاده ويتعرف قواعدها .وفيها يعد ويهيأ لدخول الجامعة وكلياتها النظرية والعلمية . فليسلح بسلاح اللغة التي يتمكن بها من مواجهة دراسته في ثقة وطمانينة. ويستطيع الطالب في هذه السنوات الثلاث ان يعيد دراسة النحو ويستكمل ما فاته من ابواب النحو والصرف المناسبة ، حتى اذا اتيحت له في الجامعة دراسة متخصصة في العربية وجد لها جذرا في دراسته ، واساسا صالحا يبنى عليه تعليمه . واذا لم يتجه جهة التخصص العربي اسعده الحظ بانه قد نال قسطا وافيا من لغة بلاده يهيئه لمزاولة اي عمل يزاوله بعد تخرجه ، في قوة وسلامة . فنحن في هذا العصر الحاضر الذي استكملنا فيه مقومات قوميتنا محتاجون الى مضاعفة الجهد في تعلم لغة القومية، وان يحذقها ابناؤنا ليواجهوا ما يطوقون به من مختلف الاعمال ومتنوع النشاط . لا يصح ان نخفف العبء اللغوي عن تلميذ اليوم ان كان قد صح في الماضي المتهافت ان نخففه . فان العلوم اللغوية — وفي مقدمتها النحو — هي الاساس الاول للتعليم القومي .

اننا نستنجد بوزير التربية ان يسمع صيحتنا هذه ولا يسمع لصيحة غيرها ، فيعطى لعلوم اللغة القومية كل ما تحتاج اليه من زمن في هذا التعليم الثانوي ، وان يقضي على تلك التيارات الخبيثة التي قصد بها تهوين شأن معلم اللغة العربية قبل ان يقصد بها الخير الخالص .

اننا ننادي بتوسيع نطاق الدراسة اللغوية لا باختزاله ، وننادي بتيسير هذه الدراسة على الوجه المرتضى ، اعني تيسير الطريقة وتيسير ادائها : تيسير الطريقة باتقان التعليم ودقة الاشراف عليه ، وتيسير الاداء بزيادة الساعات المقررة لدراسة اللغة القومية . كما نرجو ان نكف عن الدعاوة التي تجعل من مادة النحو شبحا مخيفا . وفق الله القائمين على امور التعليم في بلادنا العربية الى ما فيه الخير والصلاح .

عبد السلام هارون
رئيس قسم الدراسات بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة
ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت

يصدر قريباً
كتاب
"خالد الفرج"
حياته وأشاره
تأليف
خالد سعود الزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الجزر والمد

خليفة الوقيان

ليس هناك ابعد عن مقياس العقل من الحياة ، فهي دائما وابدا خارج هذا الحيز في سيرها ترى الحق واضحا لا التباس فيه ولكنه سرعان ما يجعله سير الحياة باطلا .. هذا التناقض يثير كل النفوس ولقد تاه الشاعر خليفه الوقيان في الضد الذي تاه في الضد واحتار في هذا السواد المبيض فجاءت قريحته بقصيدته « بين الجزر والمد » وما كاد يتلو هذه القصيدة حتى تحركت « شجون » الشاعر خالد سعود وكأن تناقض الحياة جرح كل نفس .. فكانت النتيجة ان خرجنا بهاتين القصيدتين والبقية تأتي ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابين الجزر والمد ... وبين الاخذ والرد
فصبح ضاع في ليل ... وضد تاه في ضد
فمسود بمبيض ... ومبيض بمسود
يقين ضاع في بيد ... من الاوهام والبعد
فلا ليل له حد ... ولا صبح بممتد
ولا عهد لذى عهد ... ولا ود لذى ود
نقضيها على ركب ... من الالام والسهد
وحبل العمر قد قطـ ... ع بين الجذب والشد
وبين الشك والتيه ... وبين الهزل والجد
واني قهقه الشيب ... برأسي وفرى زندي
وما ادركت شطآنا ... اليها يهتدى وجدي
وما شوقي ايحدوني ... الى مياسة القد
كان الله قد ازحى ... عليها صفحة السعد
ولكن شاقني أمر ... اليه يرتمي .... ودى
وعندي كل ما عند ... ك . هل عندك ما عندي
وهل عندك يا هذا ... فؤاد يحتوى قصدي

★ ★ ★

وأمر بات يعنيني ... وفي ادراكه سعدى
نراه غير ذى شأن ... مع الايام لا يجدى
ابعد الحلم والعشرين ... عاما تبتغي ردى
اذا ما سرت في دربي ... وترمي دونه صدى
وهل تهوى الذي اهوا ... ه ، أم تبدى الذي أبدى
وقد ترخى شراع الذل ... للتيار ، للمد
وأبقى في مهب الري ... ح في تيارها وحدى
الا يا أيها الايا ... م جدي بيننا جدى
وغذى السير في مسعا ... ك بين الخلق واشتدى
وصدى كل ذى جد ... وردي كل ذى قصد
وهدى كل مشتاق ... برتبه لوعة الوجد
الى ما خلف اغوار الثر ... ى والكون والمجد
ولفى كل معوج ... وضمي كل مرتد
أطيحي بالذي افنى ... ربيع العمر في الكد
ومدى كفك المغمو ... ر بالاوحال واهتدى
كسيف في رقاب الخا ... ق يمضي قاطع الحد
الا هبي بليل التيه ... هبى نفحة اللحد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألا يا مفعم الوجد ... ويا ذا الجزر والمد
لقد هيجت في نفسي ... اغاريد الهوى الوردى
على أني أخوهم ... من الاوهام ممتد
فسيرى غير ذى شأن ... وشأني غير ذى جد
وجدى منتهى هزل ... اذا لم يدركوا قصدي
فلا كدى بملحوظ ... كأني بينهم (كدى) (١)
وما حالي على حال ... تسر وانما تردى

* * *

اقول وما لذى بؤس ... مقال في الورى يجدى
الى م السير في درب ... مريض الغور مسود
فما تلقى اخا حق ... يصيب هواه بالرشد
ولكن ربما قد فا ... ز ذو البغضاء والحقد
زمان لا رعاه الله ... كم أودى بذى مجد
واعلى شأن خوان ... سقيم القلب مرتد
وأردى عزم ذي عزم ... وأبدى عكس ما يبدى

* * *

ألا يا أيها الساـ ... ـئل المشتاق للرد
أما يكفيك أن تدري ... مدار الدهر بالضد !!
(فمسود بمبيض ... ومبيض بمسود)
فلا ليل له حد ... ولا صبح بممتد
فكم في الاسر من حر ... وكم نذل بلا قيد
شجون ما لها حد ... وهل للدهر من حد
فيا ذات العيون السـ ... ـود يا ممشوقة القد
ويا ذات الجبين البـ ... ـدر يا مصلوبة النهد
ويا أحلى من الاحلا ... م يا أشهى من الشهد
ويا اطلالة الاشـ ... ـراق بعد الليل والسهد
خذي من روحي النشوى ... رحيق الهزل والجد
وهاتي كفك الحاني ... أطلي من ذرى المجد
فاني جد مشتاق ... الى لقياك في وجد
ولفي قلب احلامي ... بثوب الحب والسعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« تقديـــم »

(نشرنا في العدد الماضي مقالا للاستاذ فاضل خلف بعنوان (النزعة الصهيونية عند آينشتاين) وكان المقال عبارة عن مقدمة لهذا الكتاب الذي تنشره البيان لاول مرة وقد ترجمه الاستاذ فاضل خلف) .

آينشتاين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آينشتاين

للكاتب اليهودي الامريكي وليام كهن

ترجمة فاضل خلف

— ١ —

في تاريخ تقدم الانسان اسماء عظيمة كثيرة ...
فيثاغورس درس النجوم وحركات الكواكب السيارة ..
كوبرنيكس أثبت ان الارض تدور حول الشمس ... (١)
نيوتن اكتشف قوانين الجاذبية ...
فراداي اخترع المولد الكهربائي ...

ولكن ليس فيهم اعظم من البرت آينشتاين ...
آينشتاين العالم ...
آينشتاين محب الجنس البشري ...
آينشتاين المواطن العالمي ...
آينشتاين الانسان الذي قال عنه اللورد هالدين « انه احدث أعظم ثورة في الفكر .. انها اعظم حتى من ثورة كوبرنيكس وغاليليو بل ونيوتن نفسه » . وكانت نظريته العلمية هي التي قدمت الى العالم في عام ١٩٠٥ وتحققت في عصر الذرة .

— ٢ —

عندما ولد طفل ذكر لهرمان وبولين آينشتاين بتاريخ ١٤ مارس ١٨٦٩ بمدينة « اولم » في بافاريا لم يكن هناك اي باعث للظن بانه سيكون احد عظماء العالم . وقد كانت أسرة آينشتاين تعاني متاعب مالية في سبيل تربية طفلها البرت واخته الصغيرة « ماجا » وشب كلا الطفلين بصورة طبيعية . وان لاحظ الوالدان ان البرت كان بطيئا في التكلم وابطأ منه في القراءة .

وواجه البرت متاعب كثيرة في المدرسة . فقد كان يحكم المانيا في تلك الحقبة الرجل الحديدي بسمارك . وقد تغلغلت الروح العسكرية وروح التعصب في جميع مظاهر الحياة في ميونيخ حيث استقرت أسرة آينشتاين. وكان معنى هذا ان يدرب الاطفال في المدارس على نظام وطاعة عمياء وبدون اي نقاش .

١

(١) اما اول من قال بدوران الارض حول الشمس فهو ارسطار خوس الساموي منذ عام ٢٧٠ قبل المسيح. راجع كتاب (آينشتاين) للدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ص ١٣٧

آينشتاين

وكان عند الشاب آينشتاين منذ نعومة اظفاره « باعث قوى للمعرفة والاطلاع » كما يقول هو نفسه . ولكن التعليم الصارم في المدارس ضايقه كثيرا . واستمع بشوق زائد الى احسن نصيحة ودية اتته من عمه المسن. فقد نصحه بدراسة علم الرياضيات قائلا : « انه علم لذيذ . فعندما يستعصى علينا صيد الحيوان الذي نطارده نسميه « س » مؤقتا، ونستمر في مطاردته حتى نصطاده.

وعندما ارتحل والده . شكر البرت الظروف التي جعلته ينقل دراسته الى سويسرا .. البلاد الحرة من العسكرية الالمانية . وانتظم في الحال في دراساته الرياضية القيمة وعندما واتته الظروف تبرأ من جنسيته الالمانية واصبح مواطنا سويسريا .

وبعد ان تخرج آينشتاين في « مدرسة الفنون والصنائع السويسرية الاتحادية » في عام ١٨٩٦ في زيوريخ ، اخذ يبحث له عن وظيفة مدرس . واثبت ان اهتمامه منصب في الرياضيات والعلوم ، ولكن الوظائف كانت نادرة . واضطر اخيرا لقبول وظيفة « كاتب » لتسجيل الاختراعات في مكتب في مدينة « بيرن » وكان الراتب ضئيلا ولكنه كان في حاجة ماسة الى المال فقد تزوج الآن زميلته في الدراسة ميلفا ماريتش وهي فتاة مجرية ورزقا ولدين في وقت قصير .

وكانت وظيفة آينشتاين ككاتب اختراع تمنحه الحسن الحظ وقتا اضافيا لدراساته العلمية الخاصة وكان البرت يحتاج الى هذا الوقت . وقد تحدته معضلات الطبيعة النظرية لفهم تركيب الكون وحان الوقت لاعادة فحص نظريات نيوتن التي كانت تنتظر من يبحثها بحثا عصريا .

وبما ان آينشتاين آلى على نفسه الا يقبل اية نظرية بدون تدقيق ... وبما انه كان يصر على فحص الخرافات والاراء المبتسرة في عصره في ميادين العلم .. فقد هيأ نفسه بصورة فريدة لتوسيع افق علم الانسان بصورة لم يسبقه اليها سابق في عصره .

— ٣ —

من كان يعتقد ان مقالة يكتبها كاتب مغمور في مكتب الاختراع — تظهر في المجلة العلمية الالمانية (A nnalender Physik) في المجلد السابع عشر عام ١٩٠٥ — ستقلب دنيا العلم راسا على عقب ؟ ولكن هذا ما كان سيحدث . ففي هذه المقالة وفي مقالات اخرى مماثلة . بين آينشتاين العلاقة بين « الزمن والفضاء والمادة » واثبت في نظريته « النسبية » ان المادة ما هي في الحقيقة الا « طاقة مكثفة » . واستنادا على هذا قدم اشهر معادلة رياضية شرعت حتى ذلك الوقت $E = MC^2$ (١) .

وهذه المعادلة معناها بالرموز العلمية الطبيعية . ان الطاقة في كل ذرة من ذرات المادة تساوي كمية تلك المادة مضروبة في سرعة الضوء (١٨٦ الف ميل في الثانية) ومضروبة مرة اخرى في سرعة الضوء كذلك .

ولم تنل نظرية آينشتاين في اول الامر اي تقدم . ثم تنبه اليها بعض كبار العلماء . ولم يمض طويل وقت حتى اخذ العالم العلمي في بحثها . لقد بين آينشتاين ان استعمال الطاقة الذرية محتمل « نظريا » ولكن احدا لم يعرف اكان ذلك سيحدث « عمليا » ام لا يحدث وقد كتب في ذلك الوقت جي. اج. ثررنغ الاستاذ بجامعة فينا قائلا : « ان الانسان تملأه الدهشة عندما يفكر بما سيحدث في مدينة من المدن ، عندما تنطلق الطاقة النائمة في الذرة الواحدة . ولنفرض على شكل انفجار . ان هذا لن يحدث ابدا على اية حال » .

وبعد اربعين سنة وفي ومضة عمياء على هيروشيما ثبت بطلان هذا الزعم .

وقابل آينشتاين شك العلماء ، وهو الشاب ذو السادسة والعشرين ، بسخرية خفيفة ، يخالطها مسايرة ولطف ، كانت هي التي ستحقق تقدمه في الحياة خلال سني حياته . وقد قال آينشتاين في ذلك الوقت : « اذا صحت نظريتي ستحييني المانيا كألماني عظيم ، وسيحييني الفرنسيون كمواطن عالمي . اما اذا ثبت بطلانها فسيدعوني الفرنسيون « المانيا » وسيدعوني الالمان « يهوديا » .

(١) وترجمتها (ط = ك ث٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتعدت شهرة آينشتاين الان خارج اوروبا واصبح فردا عالميا كما قال عنه السير جي. جي تومسون الباحث الطبيعي الانجليزي المشهور : « انه احد العظماء في تاريخ الفكر الانساني » .

وأتته الدعوات لالقاء المحاضرات . او للتدريس ، من جامعات عديدة . وفي ١٩٠٩ استطاع ان يهجر وظيفته في مكتب الاختراع بعد ان دعي للتدريس في احدى الجامعات السويسرية . وفي ١٩١٢ دعاه القيصر « ويلهام الثاني » للرجوع الى المانيا ليصبح مديرا لمعهد القيصر ويلهام الذي انشيء حديثا في برلين .

ولم يكن لاينشتاين رغبة في الرجوع الى المانيا . ولكن الوظيفة التي عرضت عليه كانت تتيح له الفرصة ليقوم باعماله العلمية بدون عرقلة من اي نوع كانت . لذلك فقد قبل العرض .

— ٤ —

واستقبل آينشتاين لدى عودته الى المانيا استقبالا حارا من قبل اصدقائه القدماء واقربائه . وكان من بين المستقبلين ابنة عمه السا آينشتاين — رفيقة صباه — وكانت كآينشتاين نفسه تزوجت في سن مبكرة من حياتها، ثم طلقت بعد ان رزقت طفلين . ولم يكن آينشتاين نفسه سعيدا في حياته الزوجية . فافترق عن زوجته التي بقيت في سويسرا مع ابنيها . لذلك فقد ظل آينشتاين وابنة عمه السا متلازمين ثم تزوجا بعد رجوع آينشتاين الى المانيا بسنوات قليلة . وكانت زوجته امرأة مسالمة مخلصة . وكانت تهتم بتكوين بيت سعيد اكثر من اهتمامها بمآثر زوجها العلمية . وقد قالت ذات مرة : « ان اهتمامي في الرياضيات يتمثل — على الاخص — في قوائم حسابات المنزل » .

وما كاد آينشتاين يرجع الى المانيا حتى شبت الحرب بين الامبراطورية الالمانية وبين انكلترا وروسيا وفرنسا. وكان آينشتاين منذ الطفولة يكره الروح العسكرية والحرب . فأخذ يحاول ان يتجاهل موجة الحماس العسكرية التي عمت الامة . ولكن ذلك كان مستحيلا .

— ٥ —

وعرف عن آينشتاين انه رجل مسالم فقد قال : انني افضل ان اقطع اربا اربا على ان اشارك في تلك الفظائع »وعندما ايد علماء الطليعة الالمان اشتراك المانيا في الحرب ، التي ورطت العالم بأسره ، قبح آينشتاين عملهم ووصف الحرب بانها ((قسوة صماء)) . ولم ينقذ آينشتاين من المحاكمة من قبل الدولة الالمانية سوى صيته العلمي العالمي .

واخيرا وضعت الحرب اوزارها ، وانتهى ما كان يصفه آينشتاين ((بالشيء الحقير السافل)) . وكانت مآثره العلمية قد البسته شهرة عالمية ...

وسبى خليفة كوبرنيكس ونيوتن افكار الجماهير ...
وطبعت الاف الشروح لنظريته النسبية ...
وصنعت افلام سينمائية لتوضيحها ...
واضحت النظرية موضوعا محببا للمحاضرات والمناظرات ...
وأصبح آينشتاين نفسه حديثا منزليا لدى الامم في جميع انحاء العالم ...
وسمي باسمه كثير من الاطفال الذين لم يرهم ابدا ..
ودعي لتزويد المجلات المشهورة بكتاباته ...
ودعي للحديث في الاندية النسائية ...
ودعي لتقديم توقيعه بخطه ... واطلق مصنع من مصانع التبغ اسمه على نوع من السجاير ...
واصبح من مشاهير رجال المانيا .

وقال عنه جورج برناردوشو الكاتب المسرحي . وهو احد عظماء العالم : « ان نابليون وبقية عظماء الرجال كانوا مؤسسي امبراطوريات . ولكن هؤلاء الرجال الذين سأتحدث عنهم كانوا مكتشفي الكون . ولم تلطخ ايديهم بدماء مواطنيهم . انني ارجع الى الوراء ٢٥٠٠ سنة فلا اجد من هؤلاء العظماء سوى عدد صغير يحسب على اصابع اليدين ... فيثاغورس . بطليموس . كيلر، كوبرنيكس . ارسطاطاليس غاليليو . نيوتن ، وآينشتاين » .

ونضج الان آينشتاين واتسم بطابع القوة والكمال ، ولكنه اخذ من جانب اخر يستقل بعادات غريبة على الايام ، كاهمال هندامه ... والتضايق من اقل بادرة غش وخداع . والانزعاج من الخوض في الحياة الاجتماعية من حوله . ولكنه كان مستعدا ومتشوقا ليمنح وقته وانتباهه لمن كان يحتاج اليهما حقيقة . ولكنه كان يربأ بنفسه ان يضيع لحظة واحدة مع اولئك الذين يرغبون في لقائه لا لشيء الا لانه ذائع الصيت والا لانه رجل عالمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الى جانب الشهرة المتزايدة يتحلى بالتواضع وكان يقول من سخرية القدر ان اتلقى اعجابا وتبجيلا زائدين من مواطني على شيء لم يكن لي فيه لا خطأ ولا جدارة . وبرغم منزلته العالمية ابى ان يغير عاداته البسيطة وطريقة معيشته . ولم يعد المال يحظى باهتمامه وكان يقول : « انني ارفض ان ارتزق بعلمي ، وان مجدي ليس للبيع » .

وكان آينشتاين يتضايق كثيرا من القول بان نظريته كانت من الصعوبة بمكان بحيث لم يستطع فهمها سوى عشرة اشخاص في العالم وكان يقول : « ان كل طالب جاد من طلاب الطبيعة النظرية بامكانه ان يفهمها » .

— ٦ —

لم يكن اهتمام آينشتاين العظيم في العلوم ليصده عن الشؤون اليومية العالمية المحيطة به . وكان تأييده لفلسطين الوطن القومي لليهود مثالا لهذا . ومع ان آينشتاين كان معروفا بانه مفكر حر وبدون نزعة دينية متطرفة الا انه اقتنع بأهمية فلسطين . وعندما شهد موجة العداء ضد السامية في المانيا بعد الحرب قال لو لم يقدر لنا العيش بين المتعصبين القساة ، ذوي الافكار الضيقة لكنت اول من ينبذ فكرة القوميات .

ونتيجة لتجاربه الكثيرة المتزايدة مع اعداء «السامية» ، اقتنع آينشتاين الرجل الذي يكره القومية ، بأهمية الحركة الصهيونية ، وذلك في منتصف حياته .

وخصص آينشتاين بكل ما يستطيع من قوة ، وقتا ثمينا للحركة الصهيونية وجمع التبرعات للوطن القومي اليهودي . وكان يقول : « انه لا يكفي ان نقوم بالواجب كأفراد ، بل يجب علينا ان نقوم بالواجب بصورة لا يقوم بها سوى الامم ككل » .

وعندما اقترح ان يقوم الدكتور وايزمان وآينشتاين بزيارة اميركا لجمع التبرعات لفلسطين ، وخاصة من الجامعة العبرية هناك وافق آينشتاين على ذلك الاقتراح . وفي ابريل ١٩٢١ وصل آينشتاين وزوجته والدكتور وايزمان وحاشيتهم الى اميركا .

وبالرغم من تأخر السفينة عن موعد وصولها بساعات فقد كانت في انتظارهم هيئة خاصة للاستقبال . وكان من بين اعضائها محافظ نيويورك هيلان والفريد اي سمث الذي كان سينتخب قريبا حاكم مدينة نيويورك ، وآرثر برسبين الصحفي ، وجورج بن كاردوزو ، وفيور لو لاغورديا رئيس مجلس المدينة ، والسيدة وليام رندولف هرست .

لقد كان الاستقبال الذي ناله البرت آينشتاين في الولايات المتحدة استقبالا منقطع النظير . ولم يسبق ان استقبل عالم بمثل هذا الاهتمام . لقد كان في انتظاره في الشوارع الان مؤلفة لتحيته في نيويورك ، وكلفلاند ، ويستبرغ . وقد اقصى الاف مؤلفة من اماكن الاجتماع التي ظهر فيها . وفي كلفلاند اقفل اصحاب المحلات حوانيتهم ظهرا ليشتركوا في الاحتفال العظيم الذي اقيم اكراما له ، وفي واشنطن استقبل شخصيا من قبل الرئيس هاردنغ .

ولكن لم تجر كل الامور برقة ووضوح ، فقد ارتابت بعض الصحف الاميركية بصواب آينشتاين ودعت نظريته بالنظرية ، التافهة المضللة ، وطالب بعض النسوة المنتميات الى المنظمة الوطنية بمنع دخول آينشتاين الى الاراضي الاميركية بسبب افكاره الشيوعية . وعندما سمع بهذا نيكولاس موري بتلر عميد جامعة كولومبيا ، قال يا للعار والشنار .

واضحى مجلس مدينة نيويورك مركزا لمشادة عنيفة عندما رفض احد الاعضاء تقديم مفتاح المدينة لآينشتاين مدعيا بانه لم يسمع ابدا بنظريته . وفي واشنطن اضطر مجلس النواب بقسميه الاشتراك في الجدل الذي اجتاح اميركا . فقد اضحت نظرية آينشتاين النسبية موضوعا لطيفا للنواب . وبدون ان يدعي احد منهم بانه فهمها .

— ٧ —

واخيرا وبعد نجاح عظيم وزيارة متحمسة ودع الدكتور آينشتاين وزوجته والحاشية اميركا ، وداع معترف بالجميل . وغادروا الى انكلترا ثم الى الوطن ... برلين . وقد تميز اخر يوم في اميركا بحفلة غداء في فندق « نيويورك آستر » حيث رحب بآينشتاين ١٢٠٠ شخص بين رجل وامراة ، لا كعالم عظيم فحسب بل كيهودي عظيم ايضا ، صاحب قلب طيب حنون .

وعندما رجع آينشتاين وحاشيته الى برلين ، وجدوا الامور مضطربة فقد هزمت المانيا في الحرب واصبحت نهبا للنزاع الداخلي ، وكان عشرات الالوف بدون عمل .

فدفن آينشتاين نفسه في عمله في معهد القيصر ويلهام

فاذا كان الجو رائقا اخذ في التريض على ظهر زورقه المحبوب لمسافات طويلة . ولكن حالة الشعب السيئة التي كان يواجهها في كل مكان لم يكن من المستطاع تجاهلها . فتأثر باحساسه العاطفي وعدله الاجتماعي ومسؤوليته الاجتماعية . ورأى من المستحيل ان يتجاهل حالة الشعب في برلين فقال : « ليس من السهل علي ان اتغلب على عواطفي الطبيعية تجاه حياة تدعو الى التفكير العميق » .

ثم قدم آينشتاين فكرة — كحل لازمة البطالة وهي تخفيض قانوني لساعات العمل . على ان تطبق في كل مرفق من مرافق الصناعة . للخلاص من ازمة البطالة . بشرط ان تتلاءم هذه الفكرة مع تعيين الحد الادنى للاجور .

— ٨ —

رأى آينشتاين ان افكار عالم السياسة تتدخل في اعماله . ففي اثناء الحرب كانت مسالمته القوية قد اوجدت له اعداء كثيرين في الدولة الالمانية . والان اذ يعاني كل فرد من متاعب البؤس . فقد جرت محاولة لايجاد اناس يلقي عليهم اللوم على ما وصلت اليه حالة البؤس في البلاد . وكان المسالمون هدفا طيبا لهذا اللوم كما كان ايضا الديموقراطيون واليهود . وكان آينشتاين يتصف بجميع هذه الصفات الثلاث .

وبالاضافة الى كل ذلك كان يصر على استعمال كل ما في وسعه للدفاع عن كل قضية كان يعتقد انها في نصرة المبادىء الديموقراطية وابى آينشتاين بكل حرية وبعناد عنيف . الاستجابة لمحاولات اصدقائه القائلة بتثنيته عن القيام بأعماله التي كان يعتقد بانه على صواب فيها .

وأخذ آينشتاين يهتف لكل قضية يراها عادلة . وصار يدعو الى العفو العام عن العمال الالمان والسجناء السياسيين . وقرأ عن قضية الشخص المدعو توم موني في الولايات المتحدة فأرسل كتابا الى حاكم كاليفورنيا يصف فيه الحكم على رئيس حزب العمال الاميركي ؟ بخيبة العدل ورفع صوته — بالمثل — لمعاملة الشابين الايطاليين — الامريكيين بالعدل وهما ساكو وفانزيتي — وكذلك للشبان الزنوج السبعة المعروفين بأولاد سكوستبرو . وقاوم في وطنه — على الخصوص — المحاولات التي جرت لطرد المواطنين من وظائفهم بسبب آرائهم التحررية . ودعا هذا العمل بخطة الابادة على حين وقفت الجمعيات العلمية الالمانية مكتوفة الايدي . ولم تنبس ببنت شفة . في الوقت الذي كان فيه الطلاب الالمان ورجال المهن والاختصاص محرومين من كل نصيب في الحصول على العمل .

فلم يكن من الغريب اذن ان يكون آينشتاين هدفا لاعداء الديمقراطية الالمانية واحس آينشتاين بخطر الحركة الهتلرية وعقيدتها بالشعب الالماني الكامل والشعوب الاخرى الناقصة فقال : « دعوا كل انسان يعتبر كفرد ولا يقدس انسانا اخر » .

— ٩ —

وتزايدت الغارات على الطائفة اليهودية بوحشية ؛ فكتب آينشتاين الى صديق قائلا : ان هذا المشهد جعل قلبي ينزف دما . ولكن لم يكن اليهود وحدهم الذين تحملوا شدة الهجوم بل هوجم معهم كل العناصر التي عارضت تحطيم الديمقراطية كالماسونيين ، والكاثوليك ، والبروتستانت ، واتحادات العمل ، والاشتراكيين .

وقال آينشتاين : حينما خسر الالمان الحرب العالمية التي رسمت خطوطها الطبقة الحاكمة جرت في الحال محاولات لوضع اللائمة على اليهود، اولا بسبب التحريض على نشوب الحرب وثانيا بسبب خسارتها ، فكان ان تولد البغض ضد اليهود ، وباتت الطبقات « الكاملة » في مأمن من هذا البغض .

— ١٠ —

ولم يشفع لاينشتاين عند النازيين ، انه نال في سنة ١٩٣٢ جائزة نوبل . وكانت قيمة الجائزة ٥٠ الف دولار . وقد ارسل آينشتاين هذا المبلغ الى زوجته السابقة وابنيه المقيمين في سويسرا .

— ١١ —

وقد خاف النازيون من آينشتاين بسبب شهرته العالمية فوضعوه في قائمة الاناس الخطرين . وكان من بين المنشورات المهيجة التي وزعت ضده منشور يحمل صورته وهذه الكلمات : « لم يشنق بعد » .

وعندما احرق النازيون ، جهارا ، كتب « اعداء

الدولة » كان من بينها نظرية النسبية لآينشتاين . وقد اطلقوا على نظريته علوم الطبيعة البلشفية . وجرت محاولة كذلك لاقصاء آينشتاين عن نظريته .

ومن الواضح انه لم يكن لآينشتاين مقام في المانيا الفاشستية . فقد جرت تهديدات لحياته . واقتحم قبضة من الشباب الفاشست صفه في المدرسة وهم يتصايحون اطردوا اليهود . وقد ادرك آينشتاين بوضوح ولاول مرة ما معنى ان يكون يهوديا . فقال : انني مدين في هذا الاكتشاف الى الاميين★ اكثر من اليهود » .

وقال في مقابلة صحفية « الامان هنا من المحال ، فالبوليس السري ينام على السلالم . ورجال الخدمة السرية على الارض وان زوجتي منزعجة تماما » .

وبرغم المجهودات الشخصية لضمان سلامة آينشتاين من قبل الملك البرت . ملك بلجيكا فقد تزايد الخطر على حياته . وفي نوفمبر من عام ١٩٣٣ فرت اسرة آينشتاين وعندما اذيع هذا الخبر انهالت على آينشتاين دعوات اللجوء السياسي من امم كثيرة ، من انجلترة ، وفرنسا والولايات المتحدة .

فكان جواب آينشتاين على الاضطهاد الهتلري هذا التصريح « ما دام لي الخيار فاستقر في بلاد تكون فيها الحرية السياسية ، ومساواة المواطنين اجمعين ، هي السلطة امام القانون . والحرية السياسية هي حرية التعبير لكل فرد عن آرائه السياسية شفويا او كتابيا وهي كذلك منهاج متسامح لكل راى شخصي » .

— ١٢ —

وقد كان معهد الدراسات العليا في برنستون بنيوجرسي في الولايات المتحدة يستحث آينشتاين منذ وقت طويل ضمن هيئة التدريس فيه . وبعد ترو دقيق ، قرر آينشتاين مع زوجته ان يجعلا اميركا وطنهماالجديد . وقد ارتأت الجامعة ان يقرر آينشتاين بنفسه مرتبه الخاص ، فقرر ان ثلاثة الاف دولار سنويا ستكون وافرة له ثم سأل ممثل الجامعة قائلا : « هل استطيع العيش على اقل من هذا المبلغ ؟ » فاجابه قائلا : « انك لا تستطيع العيش على ذلك المبلغ فتقرر ان يكون مرتبه ستة عشر الف دولار في السنة . واستقرت اسرة آينشتاين سريعا في الوطن في ١٢ شارع ميرست في برينستون — نيوجرسي .

وانتظم آينشتاين بسرعة في عمله . بعيدا عن الدولة النازية المخيفة . وبالاضافة الى ابحاثه المستقلة باشر الاستاذ المطمئن التدريس في صفوفه . حيث اصبح حبيبا لطلاب برينستون المتفوقين . ولكن الشبان الصغار كانت تأخذهم الرهبة بسبب شهرة آينشتاين العظيمة . فكانوا يترددون احيانا في التقدم اليه بمعضلاتهم العلمية خوفا من ازعاجه . فقال لهم : « ساكون قادرا على استقبالكم دائما ، فان كانت لديكم معضلة فاتوا بها الي . انكم لن تزعجوني ابدا ما دمت قادرا على ايقاف اعمالي الخاصة في اية لحظة » .

وكان التلاميذ يرددون هذه الاغنية عن آينشتاين :

ان التلاميذ الاذكياء يدرسون جميعا علم الرياضيات
والبرت آينشتاين يمهد لهم السبيل
وهو وان كان قلما يخرج للنزهة
الا اننا نرجو من الله ان يحلق آينشتاين شعره .

وأتى آينشتاين ذات مرة بهذا التعريف الظريف جوابا على رجاء احدهم لتعريف نظرية النسبية ، تعريفاواضحا فقال : عندما يجلس رجل مع فتاة حسناء مدة ساعة كاملة ، فان هذه الساعة تبدو له كأنها دقيقة ، ولكن دعه يجلس على موقد حار مدة دقيقة واحدة فقط ، وستبدو له هذه الدقيقة كأنها ساعة كاملة .. تلك هي نظرية النسبية .

— ١٣ —

والان ما هو التأثير الذي تركه آينشتاين في زملائه ؟ ان خير جواب على هذا السؤال هو جواب صديقه الحميم وعشيره مدة سنوات طويلة : ليوبولد انفيلد :

★ ترجمة كلمة (Gentiles) اي غير اليهود .

لقد سألني احد زملائي في برينستون قائلا : لو كان آينشتاين يكره الشهرة ويحب الاكثار من العزلة ، فلماذا اذن لم يصنع ما صنعه الناس العاديون ؟ لماذا كان يطلق شعر راسه ، ويلبس معطفا جلديا مضحكا ولا يستعمل الجوارب ولا حمالة البنطلون ، ولا الياقة ولا ربطة العنق ؟ » .

الجواب بسيط ان المقصود بهذه الطريقة ، هو تقييد الحاجات وهذا التقييد يزيد من حريته . اننا اسرى للايين الاشياء . اننا اسرى لاردية الحمام والثلاجات والسيارات واجهزة الراديو وملايين من الاشياءالاخرى. وقد حاول آينشتاين ان يختصرها الى اقل ما يمكن من الحد الادنى . ان الشعر الطويل يقال الاحتياج الى الحلاق . ومن الممكن الاستغناء عن الجوارب . ومعطفا واحدا من الجلد يحل مشكلة المعاطف مدة سنوات طويلة . اما حمالة البنطلون فهي زائدة عن اللزوم كقمصان النوم والبيجامات تماما . ★

— ١٤ —

قال آينشتاين عن نفسه « ان حياته بسيطة وسوف لا تعجب احدا » ومع ذلك ففي اليوم الثاني من شهر اغسطس عام ١٩٣٩ اقدم على عمل غير فيه بقوة مستقبل الجنس البشري بكاملة .

لقد اعلن آينشتاين حقيقة بعد وصوله الى اميركا بوقت قصير في عام ١٩٣٣ وهي انه لم يعد مسالما بعد الان . وقال : « اننا يجب ان نواجه المعارك في وقت ما عندما يصبح من الضرورة حماية القانون وكرامة الانسان . وبما ان الخطر الفاشستي بات منتظر الوقوع . فانني — لا اعتقد منذ الان وبصورة مؤقتة بتاثير المسالمة المطلقة . ولن يكون سلام ما دامت الفاشستية تتحكم في اوروبا .

وعندما سمع آينشتاين بان المانيا الهتلرية تقوم بتجارب على تفجير القوى النووية — التي قد تؤدي الى اكتشاف اسلحة جديدة فتاكة — علم ان (العمل) اصبح لازما . فكتب رسالة الى الرئيس روزفلت في اليوم الثاني من شهر اغسطس عام ١٩٣٩ . وعندما تسلم الرئيس روزفلت رسالة آينشتاين عن ضرورة ابحاث الذرة التفت الى مستشاريه قائلا : (ان هذا يتطلب عملا) وكانت النتيجة مشروع (منهتان) الذري .

وبعد ست سنوات وفي اليوم السادس من اغسطس عام ١٩٤٥ بالذات . انفجرت اول قنبلة ذرية في ومضة عمياء فوق اليابان . وعلقت جريدة نيويورك تايمس قائلة : « انها تنور اذهان الناس باعظم برهان مادي لنظرية آينشتاين النسبية التي جهزت المفتاح لفتح كنز الطاقة العظمى في الذرة » .

ولكن كان الامر يختلف كثيرا بالنسبة الى اهل (هيروشيما) ففي المدينة التي يبلغ عدد سكانها ٢٤٥ الف نسمة . قتل او ابيد ما يقرب من ١٠٠ الف شخص بقنبلة واحدة . كما اصيب كثيرون غيرهم باصابات خطيرة .

وعندما علم آينشتاين بهذا التفجير الاول للطاقة الذرية . هز راسه باسى وقال : (آخ ان العالم ليس متهيئا حتى الان للطاقة الذرية . ان انفجار الطاقة الذرية لم يحل مشكلة جديدة انه فقط اخذ يستحث بشدة ضرورة حل لمشكلة قائمة . وان على الجنس البشري ان يسلك نمطا جديدا من التفكير ان اراد ان يحيى حياة ذات مستوى اعلى . وان الطاقة الذرية في الوقت الحاضر ليست نعمة للجنس البشري . بل انها نقمة . ولو كنت اعلم ان الالمان لن ينجحوا في اختراع القنبلة الذرية لما عملت شيئا في سبيلها) .

لقد اثبتت اذن استعمال الطاقة الذرية في شكل قنبلة نظرية آينشتاين العلمية التي وضعت قبل اربعين سنة .

— ١٥ —

تميزت حياة آينشتاين من اولها الى اخرها بالمآثر العلمية مندمجة مع العطف العميق والتقدير الكامل للناس . لقد كان آينشتاين قبل كل شيء « رجل علم » وقال عنه الاستاذ : أ. هـ. كومبتن الحائز على جائزة نوبل في علم الطبيعة : « آينشتاين عظيم لانه ارانا عالمنا بمنظار اصح ، وساعدنا — بشيء من الوضوح — على فهم علاقتنا بالكون الذي حولنا » .

ان هذه المآثر العلمية قد تكون كافية للرجل العادي ولكن اهتمام آينشتاين لم يكن مقصورا على دنيا العلم ، بل كان من بين اهتماماته الاجتماعية والانسانية الكثيرة رقابه

واهتمامه العميق بحقوق الانسان وبالاخص في بلاده المتبناة — اميركا ... ورغبته الملحة في عالم يسوده السلام . وتبدو هذه الرغبة واضحة

حتى في ايام طفولته .

وقدمت لآينشتاين بعض المكافآت ومنها تسمية كلية باسمه وهي (كلية البرت آينشتاين للطب) التابعة لجامعة (بيشيفا) اكراما له . وهذه الكلية هي اول مدرسة طبية تنشأ في اميركا تحت الرعاية اليهودية .

ولم يشغل آينشتاين شاغل ، كما شغلته دولة اسرائيل الصغيرة ، فهو في سني حياته الاولى ومنذ ان قدمه الاستاذ حاييم وايزمان لضرورة الوطن القومي اليهودي ، وهو متحمس بقوة لهذه القضية . وقد قال عنه سفير اسرائيل في هذه البلاد — اميركا — ابا ايبان : (الدكتور آينشتاين العالم آينشتاين اليهودي يمثلان انسجاما تاما ، وهذان العاملان مضافا اليهما تأثيره العميق بالنكبة اليهودية في اوروبا ، يوضحان (الغيرة العظمى) التي يحملها ويؤيد بها انعاش اسرائيل القومي)

ليضحي بسعادته الشخصية في سبيل مصلحة بلاده .

ان قوة الدستور تكمن بأكملها في تصميم كل مواطن على حمايته — اي الدستور — ولو شعر كل مواطن بأن من واجبه القيام بنصيبه في هذه الحماية . لاصبحت الحقوق الدستورية مصونة وان لاصحاب العقول الراجحة . على الاخص تأثيرا فعالا على تكوين الرأي العام . ولهذا السبب نجد الذين سيقودوننا الى حكومة ذات سلطة مطلقة ، ان من مصلحتهم الخاصة ان يرهبوا ويكموا افواه تلك الفئة . لذلك فمن المهم للعقلاء ان يقوموا بواجبهم ، وارى ان هذا الواجب هو : في رفض الاشتراك بكل ما من شأنه انتهاك حرمات الحقوق الدستورية للفرد وبالاخص ايقاف جميع التحقيقات السياسية التي تتعلق بالحياة الخاصة للمواطنين وما يتبنونه من افكار .

وكان اهتمام آينشتاين العميق بحقوق الانسان واضحا في حياته من اولها الى اخرها . ففي اميركا كان يدعو للمساواة التامة للاقليات ، وللزنوج بوجه خاص . وكان يقول : « اعتقد ان كل من يحاول التفكير في الامور على ضوء النزاهة ، سيدرك سريعا مدى الحياة التقليدية الغير اللائقة بل المميتة ضد الزنوج . فماذا يستطيع ان يفعله الرجل الفاضل اذن ، لمحاربة هذا الضيم الشديد المتأصل ؟ انه يجب ان يكون شجاعا ليكون قدوة لغيره بالقول والفعل ، ويجب ان يراقب اطفاله لئلا يتأثروا بالمحاباة العنصرية .

وجاهر آينشتاين مرارا وتكرارا برسائل خاصة وخطب مكتوبة ضد الاعتداءات المتلاحقة على الحريات الشخصية للشعب الاميركي وحذر في رسائل كثيرة منشورة وغير منشورة كل فرد عن التنازل عن اي حرية من حرياته ، وليكن — وهذا من كلام آينشتاين — مستعدا للسجن والخسارة المالية — وبالاختصار —

هناك من يؤكد ان آينشتاين كان (محاميا مستعدا) للدفاع عن كل قضية تقدم اليه ، ويؤكد اخرون ان خيطا من الثبات كان يجري في اعماله خلال ايام حياته كلها . وقد اوضح في رسالة وجهها الى جمعية « وصايا موسى العشر المحامين » في شهر فبراير ١٩٥٤ قوله : « ان حقوق الانسان وشرعيتها ليست مكتوبة في النجوم ، وان الصراع من اجل حقوق الانسان اوجد في الاصل من اجل حرية المعتقد السياسي وتبادل الرأي . وان الخوف من الشيوعية ادى الى نتائج وخيمة على بقية الجنس البشري المتحضر ، وقد عرض هذا الخوف بلادنا الى السخرية ، فالى متى سنتحمل اولئك السياسيين المتعطشين للقوة والذين يحاولون الحصول على نجاح سياسي بتلك الطريقة » .

ان موقف آينشتاين الصريح تجاه مشاكل الساعة جر عليه هنا — كما جر عليه في المانيا منذ سنوات —

★ هذه الظاهرة الغريبة .. هي من عادات العباقرة ، وكان آينشتاين عبقريا لا يهتم بهندامه ، بل ليس لديه وقت لهذه التوافه .. وهذا هو الجواب الصحيح . — المترجم —

نقدا لاذعا من الذين يخالفونه في وجهات النظر . ففي عام ١٩٤٥ ، تهجم النائب السابق جون وانكين من (مسيسيبي) على آينشتاين في قاعة مجلس النواب قائلا: لقد آن الاوان للشعب الاميركي ان ينتبه لآينشتاين ، وفي رايي انه ينتهك حرمة القانون ، فيجب تقديمه للمحاكمة » .

وفي عام ١٩٥٣ قرر جوزيف ماكارثي عضو مجلس الشيوخ ، ان كل من يتقدم بنصيحة كالتي تقدم بها الدكتور آينشتاين فهو عدو لاميركا ، لان هذه النصيحة تشبه نفس النصائح التي قدمت من قبل كل محام شيوعي امام مجلسنا .

وبالرغم من كل هذه الهجمات فقد استمر آينشتاين في التعبير عن وجهة نظره في جميع مشاكل الساعة .

— ١٨ —

كان آينشتاين عالما مجتهدا وكان مربيا وكان صديقا لاسرائيل وكان محاميا عن حقوق الانسان ... لقد كان آينشتاين كل ذلك واكثر . ولكنه ركز اعظم اهتمامه في جهاده من اجل عالم يسوده السلام ، وقال : « ان المشاركة الفعالة في حل مشاكل السلام واجب اخلاقي لا يتهرب منه كل انسان ذو ضمير . وان فكرة الحصول على السلام بوساطة القوة القومية ، وهم مدمر . انها تشير بوضوح اكثر فاكثر الى الابادة الشاملة . وقد اخترعت اسلحة فتاكة تستطيع ان تدمر في ثوان معدودات حشودا عظيمة من البشر . يجب ان تكون اذن وجهة النظر الاساسية لجميع الاعمال السياسية هي : ماذا نستطيع ان نفعله لنمهد السبيل الى عالم متساو في الوجود ، بل وتعاون صادق بين الامم ؟.

وقد سئل آينشتاين ذات مرة : « هل تعتبر نفسك المانيا او يهوديا ؟ » فاجاب : « انني اعتبر نفسي انسانا ان القومية مرض طفولي . وانها حصبة الجنس البشري. ان الشعب الحربي اسوا مثال لتجنب الخصام الصريح . ويجب الا يغيب عن البال ان القنبلة الذرية صنعت في هذه البلاد كوسيلة دفاعية وان اي امتناع عن تحريم استعمال هذه القنبلة . يعتبر جريمة لا تغتفر . ان الكتب المدرسية تمجد الحرب وتخفي فظائعها . انها تغرس البغض في شرايين الاطفال . وانني افضل ان اغرس الحب على ان اغرس البغض .

— ١٩ —

لقد كان من الصعب على الاصدقاء ان يصدقوا ان آينشتاين قد بلغ من الكبر عتيا . لقد كان من الصعب ان يصدقوا لان قوة ذاكرته بقيت حادة كما كانت . واستمرت اعماله متلاحقة برغم اعتزاله الخدمة كمدرس نشيط في ١٩٤٥ . وظلت طاقته جبارة وعقله قابلا لافكار جديدة ، وذاكرته مدهشة ، وروح المرح عنده قوية .

وفي عيد ميلاده الخامس والسبعين وهو اليوم الذي كان يفضل ان يتجاهله — انهالت عليه الرسائل والهدايا من جميع ارجاء العالم .

وواصل آينشتاين سكنه في منزله المتواضع في برينستون لقد كان موت زوجته العزيزة المحبوبة في عام ١٩٣٨، صدمة عنيفة له وبالعمل وحده نال آينشتاين قدرا من السلوى في مصابه . وبعد ذلك عاش بهدوء مع ربيبته مارغوت وسكرتيرته هيلين دوكاس واختها ماجا وكان احد ابنائه يعيش في كاليفورنيا كأستاذ للهندسة في جامعتها .

آينشتاين

— ٢٠ —

لقد ضمت كنيسة « ريفرسايد » الكبرى في نيويورك تمثالا لرجل حي واحد بين منحوتاتها . وهذا التمثال لاعظم اساتذة العالم ... آينشتاين ، وعندما سألوه عن شعوره في وجوده مع القديسين في تلك الكنيسة قال : « انا فخور بهذا الشرف لا لاهميتي ولكن لانني يهودي » .

— ٢١ —

ولكن الزمن ... كان قد بلغ نهايته بالنسبة الى العالم البالغ من العمر السادسة والسبعين هذا الزمن الذي كرس فيه آينشتاين حياته في دراسته ... فقد فهم العالم في احد الايام ان احد ابنائه العظماء قد طويت صفحته .

وبرغم شيخوخته ابى ان يغلق بابه في وجه اولئك الذين كانوا في حاجة الى نصائحة ومشورته ، وكان يقول : « انني اكلم كل انسان بنفس الطريقة سواء أكان من عامة الناس ام كان عميد جامعة ، وقد بر بقوله ... فسواء اكان في اجتماع مع رئيس وزراء ام كان يجول في شوارع برينستون ... وسواء اكان منبسطا مع الاصدقاء ، ام كان يتبادل الرأي مع تلميذة في معضلة هندسية فقد عامل الجميع معاملة واحدة ، مع احترام ورغبة في الافادة .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن خلدون



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعملية الابداع الفنى فى الشعر

عملية الابداع الفني من مشكلات النقد ، التي بدأ علم النفس الادبي يوليها اهتماما متزايدا حتى اصبحنا نؤمن انه من الخير للناقد والنقد ان يترك علاج هذه المشكلة للعالم النفساني لانه يملك من المنهج والدربة والثقافة ما لا يملكه الناقد في معالجة هذه المشكلة .

بيد ان هذه المشكلة ستظل ابدا موضع اهتمام الناقد والشاعروالناثر، الذين يحترمون للعالم النفساني تخصصه ، ومنهجه ووسائله ، وما وراء ذلك كله من خصوبة ، وعمق في العطاء ، وسيكون لهم من النفساني موقف الممتن الشاكر لما يسكبه من أضواء أشد سطوعا على هذه العملية المعقدة .

واعتقد أن انضج بحث عربي عالج هذه المشكلة هو « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » للدكتور مصطفى سويف ، وسر النضوج في هذا الكتاب هو انه تطبيق للمنهج التجريبي الموجه ، وانه يفسر هذه العملية على اساس ديناميكي . ومعنى ذلك اولا انه يحكم التجربة في الظروف السوية بعيدا عن فروض مدرسة فرويد وغيره في التحليل النفسي التي تقوم على افتراض يقوم بدوره على قدرة جدلية على التفسير ، وكل ذلك من فرض وجدل وتحليل مستوحى « ولا اقول مستنبط » من حالات شاذة وظروف غير سوية .

اسماعيل الصيفى

ابن خلدون

كما ان خطة كتاب « الاسس النفسية للابداع الفني .. » تقوم على اساس تكاملي ، حركي ، فليست النفس مجموعة من الاجهزة المستقل بعضها عن بعض وليست النفس كذلك هي حصيلة « جمع » تلك الاجهزة والقوى ، ولكنها حصيلة « تفاعلها » وتكاملها ، وهذا فهم تعرفه مدرسة « الجشطلت » في علم النفس .

ونحن اذا تأملنا التخطيط الذي سجله ابن خلدون في « مقدمته » لعملية الابداع في الشعر بخاصة والفن والعلوم بعامة نجد هذا التخطيط جديرا بأن تنعقد المقارنة بينه وبين مقررات علم النفس الادبي من عدة زوايا .

وقد اخترنا تخطيط ابن خلدون دون سواه لسببين هامين : **اولهما ان ابن خلدون فيه يمثل العبقرية العربية في الوعي بالعملية الشعرية والفنية ، اذ انه لم يبتدع ما اورده في « المقدمة » من ذلك ، بل كان خلاصة لما انتهى اليه النقد العربي في عصور ازدهاره بعامة ، ولاراء «ابن رشيق» بخاصة .**

وكل ما كان لابن خلدون من فضل — وهو فضل غير منكور — يعود الى انه انتخب من النقد العربي طائفة من الاراء المتماسكة ، والى انه سلط من ذهنه الثاقب ، وتعليقه الذكي ما منحها به جناحين ، وقدرة على التحليق .

فاهتمامنا بتخطيط ابن خلدون لعملية الابداع اهتمام بصفوة ما ذهب اليه النقاد العرب في ذلك .

هذا سبب ، وسبب اخر هو ان الكثير من جوانب هذا التخطيط كان من التراث النقدي الذي اتيح له ان يبعث الى العوالم من جديد في مطالع عصر النهضة الادبية ، منذ اورده الشيخ حسين المرصفي في كتابه «الوسيلة الادبية الى العلوم العربية» ولكنه للاسف لم يحظ حتى الان بما يستحق من فهم واهتمام .

يتضمن تخطيط ابن خلدون عدة شروط نستطيع ان نقسمها الى ثلاثة اقسام ، يتناول في القسم الاول منها اعداد ملكة الشاعر وعقله ونفسه ، ويتناول في الثاني خطوات الابداع ، ويعالج في الثالث بعض قضايا الشكل والمضمون التي تتعلق بعملية الابداع .

ولا يسعنا ان نتناول هذه الاقسام جميعا في مقال واحد ، ولا بد من تقسيمها على ثلاثة مقالات : وبحسبنا في هذا العدد ان نعرض للبحث والتقويم ما يتصل باعداد الملكة عند الشاعر خاصة والفنان عامة .

اول شروط ابن خلدون يتمثل في قوله : « **اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا اولها الحفظ من جنسه ، اي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحر النقي ، الكثير الاساليب ، وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين ... ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ،**

وواضح من هذا ان ابن خلدون لا يشترط الحفظ فحسب بل يرى ان لا بد ان يكون من جنس شعر العرب الحر النقي الكثير الاساليب ، وان يكون من الوفرة بحيث يرى اقله شعر شاعر .

ويلي ذلك من شروط ابن خلدون ما يتمثل في قوله : « **.. من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هي صادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها ، كأنه منوال ، يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات اخرى ضرورة .**

ثم يعرض ابن خلدون لبقية الشروط التي تعنينا في هذا المقال من تهيئة ظروف الابداع من خلوة ، واستجادة مكان ، واستماع الى ما يثير القريحة « باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور » ومن حالة الشاعر المبدع نفسه « فشرطه ان يكون على جمام ونشاط » ، وان يكون عاشقا او منتشيا ، فقد « قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء » يقصد من بواعث الشعر .

والغرض الذي وضعه الدكتور مصطفى سويف لتحديد السبب النوعي لعبقرية الشاعر هو القول بأن هذه العبقرية في نوعيتها انما ترجع لنوع « الاطار » الذي يحمله الشاعر . والمقصود بالسبب النوعي لعبقرية الشاعر هو ما انتهى اليه الدكتور سويف في عبارته : « المشاهدة تدلنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على ان لكل عبقري طريقه الذي يسلكه .. فهذا يسلك سبيل العبقرية العلمية وذاك يسلك سبيل العبقرية الفنية في التصوير او الشعر او الموسيقى والبعض يسلك سبيل العبقرية السياسية ، وهكذا . فما الذي يحدد لكل من هؤلاء العباقرة طريقه ؟ او بالاخص لماذا يكون العبقري شاعرا في بعض الاحايين ؟»

والاجابة عن هذا السؤال تحديد للسبب النوعي للعبقرية في الشعر وقد افترض الدكتور سويف «الاطار» اجابة عن هذا السؤال او تفسيرا لهذه الظاهرة . وقد اخضع الدكتور « اطاره » المفترض للتحقيق التجريبي مستعينا باعترافات شعراء وكتاب عرب وعجم . وكان اول تعليقاته عليها ان هذه النصوص التي ساقها للشعراء والادباء تدل على اهتمام الاديب باستيعاب اكبر قدر من الاعمال الادبية ، وخاصة ما يراه اهم هذه الاعمال تبعا لموقفه الخاص، فكيتسى يتجه معظم اهتمامه الى الاطلاع على الشعر وشعر شكسبير خاصة ، والشاعر احمد رامي يكثر من قراءة بايرون ولامرتين وشوقي وهكذا ، وكلهم يعيد قراءة ما يقبل عليه ثم يعيدها .

وخلص الدكتور من بحثه الى ان الاديب يكتسب الاطار عن طريق الاطلاع الخاص اي بعملية التذوق المنظمة تنظيما خاصا .

ونحن نستطيع ان نستبدل بمصطلح « الاطار » الذي ارتضاه الدكتور مصطلح « المنوال الذي ينسج عليه الشاعر » ، فلا تختلف النتائج كثيرا ، وفي اعتقادي ان لفظة « المنوال » اكثر من « الاطار » ايحاء بالفكرة التي يريدها كل من ابن خلدون ومصطفى سويف في هذا الموضوع . لان كلمة الاطار ذات طابع سكوني جامد ، وكلمة الاطار ذات طابع حركي متجدد ، وهذا اكثر مشاكله لعملية الابداع التي يفسرها الدكتور على اساس دينامي حركي .

واشتراط ابن خلدون ان يكون المحفوظ من « جنس شعر العرب » ومن مستوى خاص من الجودة ادراك للسبب النوعي لعبقرية الشاعر ، فبنوع المحفوظ المنسى المترسب فيما وراء الشعور يكون نوع العبقرية . بل اننا اذا نقبنا في « مقدمة » ابن خلدون وجدنا فيها اقوى نص على ذلك ، يتمثل في قوله : « ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات ، واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكيفها من خارج فبهذه يتم وجودها ، وتخرج من القوة الى الفعل صورتها ، والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج .. فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسل ، والعلمية بمخالطة العلوم » وهكذا .

وبهذا يتفق ابن خلدون وسويف على هذا النحو ، بل ان ابن خلدون ليخطو خطوة اخرى في هذا الطريق لم يخطها سويف حين قرر في مقدمته انه « على قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه ، وكثرته من قلته ، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه ، فمن كان محفوظه شعر حبيب او العتابى ... تكون ملكته اجود واعلى مقاما ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين او ابن نبيه ... لان الطبع انما ينسج على منوالها ،وتنمو قوى الملكة بتغذيتها » .

أما ما رآه ابن خلدون من تهيئة الظروف للابداع على هذا النحو فما نستطيع في هذا المقال ان نقف امامها بالتفصيل وحسبنا ان نقرر ان مذهبه في هذا هو مذهب النقاد العرب منذ راى ذلك بشر بن المعتمر في صحيفته المشهورة ، واذا كان العجب يملكنا لهذا الاتفاق مع ان المشاهد في كل عصر والذي تؤكده البحوث النفسية التجريبية هو ان هذه الظروف تختلف من شاعر الى اخر اذا كان العجب يملكنا لهذا فان العجب يمتزج بشيء من الاعجاب حين ندرك ان مثل هذا الراى نابع عن شعور عميق بقداسة العملية الشعرية ، وما تحتاج اليه من رهافة حس ، ورقة شعور ونفاذ بصيرة ،وهذا لا يتأتى حسب تصورهم — في صورته المثلى — الا اذا كان الشاعر في مثل هذه الحال التي يصفون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقاء

مع الفنان

خليفة الإتقان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com







إعداد : سليمان الشطي

كل شيء في بلدنا هذا وفي امتنا النامية .. كل شيء بلا استثناء يخطو خطواته الاولى فمن الصناعة الى النواحي الاقتصادية الى ان ننتهي عند الفن .كل هذه تبذر بذرتها الاولى في ارض المعرفة .. ومن الطبيعي من اصول الاشياء ومن نقطة البداية جدا والحالة هذه ان تكون البداية فيها ففي الفن التشكيلي نبدأ من المذهب الكلاسيكي فالرومنتيكي ومنه الى نهاية الطريق .. وقد نختصر الزمن ولكننا لا بد وان نمر بهذه المراحل حتى يكون النمو طبيعيا ومتكاملا ... ليست هذه بمقدمة اسوقها قبل هذه المقابلة ولكنها نقطة اساسية يرتكز عليها كل من يعترض على الفنان خليفه القطان — اقول يعترض ولا يهاجم.. ولا شك انمزيدا من الجهد والعمل والعرق علىالقطان ان يبذله حتى ترتكز دعائم « السيركلزم » .. امر واحد لايمكن ان نقبله ابدا ، ونعني به الهجوم وامر واحد نحث وندعو له ونعنى به المناقشة .. وعليه ان يقول ويشرح ويفسر ولقد حاول ولا يزال يحاول وسنبذل كل جهدنا لنفهمه .. وقد عرضنا عليه قول المعترضين فقال :

الفن الكلاسيكي هو الثابت ويسبغ فضله على كل المذاهب الفنية فمنه المنطلق . هناك فعلا مدارس منها السريالية والتكعيبية وهناك المذهب الوحشي والدادي ولكن قيمتها لا تصل الى مستوى الفن الكلاسيكي .

● **ولكنك اتجهت الى السيركلزم بينما نحن لا نزال نخطو الخطوات الاولى ؟**

— الجمهور الكويتي فطري لا يفضل من الاشياء الا الواضح منها مثل منظر البحر . وهناك من يريد من الفنان ان يكون ناقلا وليس خالقا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومبتكرا وهذه الاعمال اشبه ما تكون بالاعمال التجارية وهي بعيدة كل البعد عن الفن فليس الفن محاكاة للطبيعة ولكنه احساس بما حوله وتفاعل معه .. وانا في «السيركلزم» احاول ان انقل تفاعلي مع ما يحيط ولناخذ مثلا لوحة «الغواص الكويتي» نجد فيها الغواص نفسه بلونه الاسمر وقد اشتعل راسه بالمشيب وجزء منه في البحر والجزء الاخر الى اعلى ، وهو يغوص قاصدا « المحار » وهي الهدف .. ونجد شكل المحار وفيه الدوائر تمثل دورانه في حلقه تكاد تكون مفرغة قد يجد او لا يجد ، وهو يقضي اربعة شهور في ضوء الشمس وظلمة الليل .. ونشاهد كذلك المخاطر فنجد سمك القرش، وتبرز اللوحة كذلك وسيلته التي يستغلها فيظهر « السنبوك » والشراع ...

● اذا نستطيع ان نقول ان « السيركلزم » لا يبعد عن الاتجاه الكلاسيكي ...؟

— السيركلزم كما برز في لوحة البحار عبارة عن قصة متكاملة ، ولو اردنا ان نعبر عن حياة البحار مثلا بالطريقة القديمة لاحتجنا الى وقت طويل ومساحة كبيرة ولكن السيركلزم قلص المكان والزمان ..

● سؤال في ذهني يدور .. يا ترى كيف خطرت فكرة السيركلزم في ذهنك ؟..

— كان هذا سنة ١٩٦٢ .. والسيركلزم معناه الدائري وقد كانت نتيجة قراءة كتب الفلسفة والطبيعة والعلوم العامة .. وقد قرأت عن النظرية التكعيبية القائلة ان عنصر الاشياء بدأ من مكعب ومنه تتكون بقية الاشياء .. وانا ارى غير هذا ولا اقبل هذه النظرية لان كل شيء — كما هو معروف — مكون من ذرات والذرة عبارة عن دوائر نواة يدور حولها الكترون وهذه اصغر شيء والاصغر منها اذا وجد قد لا يخرج عن هذا النظام واذا نظرنا الى الاكبر نجد الارض تدور حول الشمس والشمس ومجموعتها تدور حول نجوم اخرى .. الخ .. هذا الخط الدائري ، ومن هذا الدوران يكون تحديد الزمان كما تتولد الطاقة من هذا الدوران .. انظر الى الصخرة التي تلقيها في الماء الا تجد الدوائر تحيط بها ..

● ان الطبيعة تبرز في هذا الفن فاين الانسان ؟

— ارتباط الانسان في الطبيعة واضح علاوة على ذلك ان هذه الدائرية « السيركلزم » تظهر غرائز الانسان وغاياته المتجددة المتواصلة التي لا اول لها ولا اخر فهذا الاتصال في رغبات الانسان وهذه الذرة هما الاصل في كل شيء .. ونقطة اخرى احب ان اقف امامها لحظة ففيها توضيح للقيمة التي يرتكز عليها هذا الفن .. فالسيركلزم عبارة عن ضابط يقف امام دعوة الارتداد .

● يمكن ان توضح هذه النقطة اكثر ؟

— انت تعرف ان الانسان لما اراد ان يعبر عن نفسه في القديم احد ينحت في الصخور وفي الكهوف ويرسم ما يختلج في ذاته ونحن نستطيع ان نلحظ هذا من الحفريات التي كشفت الكثير ، فالانسان القديم عبر بحرية مطلقة دون ان تتدخل التعقيدات العقلية ... من هذه النقطة ثار اصحاب المدارس الحديثة في الفن حيث حاولوا ان يعبروا مباشرة عن ذات الانسان بينما كانت الكلاسيكية تسير ضمن خطوط مدروسة ومحددة ومن هذه كانت السيريالية والتجريدية وغيرها .. ولو وضعنا قطعة من الحفريات ومن الاشكال التي رسمها الانسان الاول بجانب ما يرسمه الفنانون المحدثون لما وجدنا اي اختلاف ..

● ولكن ليس هذا ما يعيب الفنانين المحدثين فكل من الانسان القديم والفنان الحديث حاول ان يعبر عن الذات الانسانية ...

— صحيح ان كلا من الانسان القديم والفنان المحدث حاول ان يعبر عن ذات الانسان . ولكن اين تقدم الانسان .. اين التطورات التي حدثت اليس لها تأثير على الانسان وهذا التأثير الا ينعكس على الفنان .. من هذه النقطة يدخل السيركلزم الذي يجمع بين ما يختلج في ذات الانسان وبين العقل فالسيركلزم يجمع بين الفطرة والعقل وهو بهذا يحمي الفن من العودة الى نقطة البداية ولا يحرمه من التعبير الصادق عن ذاته ...

● كل فنان او مبتكر يرسم مستقبلا لابتكاره فما المستقبل الذي ترجوه وتؤمله لهذه الطريقة ؟ وعلى اي اساس تستند ؟

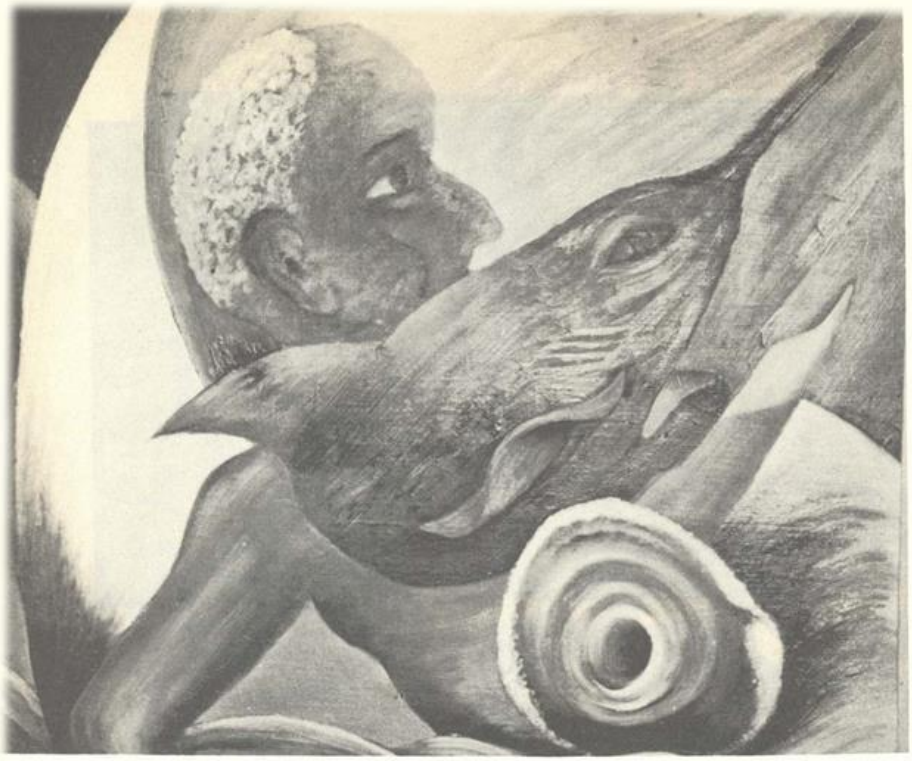
— عندما يتبين انسان شيئا فيعني هذا انه يرجو له كل نجاح ، ولكن المهم هو ان الانسان عندما يؤمن بشيء عليه ان يعمل لاجل هذا الشيء ، وهناك ثلاثة طرق اعتمد عليها وهي :

اولا : الدعاية وهي وسيلة لنشر الطريقة او المذهب وهذا طريقها معروف ...

ثانيا : الفنان نفسه فبقدر موهبة الابداع التي عنده والابتكار الذي يأتي به واحساسه المرهف الدقيق كل هذا حينما يحاول ان ينقلها باخلاص عن طريق الخط واللون والفك . ناخذ مثلا « برايتون » لقد عمل هذا الفنان لاجل السريالية وضحى وكافح حتى نالت هذه الشهرة العالمية .

الثالث : الجمهور وهذا هو الجانب الاصعب فقد تشتهر الطريقة الفنية من خلال الاسم فقط فالكل يعرف اسم السيريالية والتكعيبية مجرد اسم اما حقيقة هذه المذاهب فتحتاج الى وقت حتى تعرف حق المعرفة . والبركلزم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



قد لقى تجاوبا في ايطاليا وتقبلوه كمذهب جديد .. وانا احاول ان اجعل البساطة الطابع العام للسيركلزم فرسالة الفنان يجب الا تبعد كثيرا عن الجمهور ، فالطريقة السريالية قد تذوقها الجمهور كشكل ولم يصل الى المعنى الا تخمينا ... ولم احاول ان ابتعد عن العصر فحاولت ان اصور الطابع العام لهذا العصر فوجدت الحقد والكراهية والبغضاء ...

● ولكن الا تعتقد ان للطيبة مكانا من الواقع فاين مكانها من السيركلزم ؟

هذا السؤال طرح علي في ايطاليا .. قيل لماذا هذا الطابع ولكن اقول هناك محبة وصفاء ، ولكن الحقد والكراهية متغلبة على الطيبة وانا احاول ان ابرز الحقد والكراهية لعرضها على الناس فمن كانت هذه الصفات تعكس ذاته فهو هناسيدرك مقصد اللوحة .. وانا ارى الطيبة اصلا والانانيةفرعا فعندما نقضي على هذه الطفيليات تبقى الحسنات .. ولكن ليس معنى هذا انني لا امثل عن الجوانب السيئة فقط فقد عرضت وصورت الامومة والحنان والحزن وكذلك من البيئة مثل البحار .. ولكني اتجه الى الجوانب المعنوية ، وهنا تبرز نقطة واحدة واعني بها الجمال فالجمال عندي احساس في ذات الانسان وليس تأثير الاخرين وانا لا اصور قيما او جمالا .

● وقفة امام الفنون الحديثة .. ان الفنانين في العصر الحديث يقولون ان الحياة في العصر معقدة لا تخضع لمقاييس ...

— انا لا اعتقد هذا فالحياة كما هي ولكن الذي يعقد الحياة هو الانانية والطمع فالانانية والطمع هما اللذان دفعا امريكا الى قتل الابرياء فيفيتنام فالعقد ترجع الى تصرفات الناس معهم .. ومنذ فترة قتل احد الامريكيين سبع بنات ، فلو فحصنا هذا الانسان لعرفنا انه اقدم على القتل لا لانه يحب بل لانه يكره .. والكراهية جاءته من الواقع الاليم الذي عاشه فالامراض النفسية ما هي الاانعكاس للواقع الاليم الذي رسمته تلك الاطماع ...

● الفنان انعكاس لواقعه وهذا الاتجاه نحو تصوير الحقد والكراهية هل اكتسبته من واقع مجتمعنا الكويتي ؟

لا استطيع الا ان اقول ان الكويت هي التي امدتني بهذه الصورونستطيع ان نستعرض شرح لوحتي « حياة فنان » ففيها بعض جواب هذا السؤال . تقول اللوحة « ان الفنان المخلص الصريح يحاول من حوله نبذه كالنواة ، لانه لا يجاريهم بلبس اقنعة الزيف والخداع ولانه دائما يحاول ابرازها بريشته ، ان الفنان الصادق يتألم لما يحدث من حوله من مساوىء قد تدفع مجتمعه الى الهاوية . ولكن بايمانه وعزيمته سيظل يعمل لمحاربتها حتى تبيض عيناه ويشيب شعره ، انه يسمعهم في ملذاتهم يجاهرون وفي حقدهم يظاهرون وهو يستعرضهم ولكن هيهات ان يسمعوا . انه يحترف لغير لهم الطريق ولكن هيهات ان يبصروا ان واجبهم ان يقدروه ويصونوه كالجوهرة لا ان ينبذوه كالنواة ولكن هيهات ان يدركوا .. فكما ترى ان شرح هذه اللوحة يعطيكصورة واضحة عن اثر الكويت على طريقتي هذه وانت ترى ان كل هذه الامور التي تعرضت لها اللوحة موجودة في الكويت ..

● المعركة الاخيرة تكشفت عن اشياء وتبرز سؤالا عن دور الفن في هذه المرحلة الحاسمة ؟

الفن كاي رسالة اخرى كالادب والمسرح والموسيقى من رسالته ابراز المشاعر القومية التي تحدث في محيطه وذلك عن طريق عمل اللوحات التي تجسد الحوادث واقامة المعارض داخل البلد وخارجها ، لان الفنان اذا اقام معرضه داخل الوطن العربي يعكس انفعال الجمهور القومي .. اما في الخارج فيعكس الحقيقة ويظهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



للاخرين ما يدور في وطننا العربي عن طريق الصورة المعبرة ...

● ولكن هل من مشاعر شعبنا القتل؟

ابدا وانا في اللوحات التي رسمتها حاولت اظهار الحقيقة وهي ان شعبنا يدافع عن نفسه والدفاع عن النفس واجب يقره كل انسان وكل الامم ... ولقد قام الفنانون السوريون اثناء المعركة بمجهود ممتاز وقد رسموا لوحات وعرضوها في الشوارع ..

● سؤالنا قبل الاخير هو ما هو الرأي الذي كونته حول الفن في الكويت ؟

اي شعب له فن ينبع من اعماقه وقد يكون الشعب هذا متأخرا ... ولكن لا بد له فن خاص . وفي الكويت كانت هناك البذور الفنية الفطرية «فالابوام» كان فيها الكثير من الزخارف والابواب كذلك ، وقد ابتعدوا عن تصوير الاشخاص اعتقادا منهم ان هذا يحرمه الدين الاسلامي ، والحق غير ذلك فالاسلام لا يحث على عمل التماثيل خاصة في السنوات الاولى خوفا من العودة الى الجاهلية ، اما اذا استقر الدين في النفوس فلا خوف من العودة الى الكفر .. ولكن هذا لم يمنع — كما ذكرت — من ظهور الزخارف وبروز النواحي الجمالية.. وبعد هذه الفترة جاءت النهضة الحديثة وفتحت المدارس تطورت النهضة الفنية وبرز الاعتناء بالفن ، وقد فتح المرسم الحر وهو تحت اشراف وزارة التربية ، وقد قامت وزارة الارشاد بتقديم خدمات جليلة للفنانين . وفي هذا المجال علينا ان لا ننسى الفنانين الراحلين معجب الدوسري ومحمد الدخي وقد كان كل من الراحلين يبشر بمستقبل زاهر للفن ..

● سؤالنا الاخير عن سر اهتمامك باقتناء الكتب ؟

اعتقد ان الفنان يأخذ من كل بستان زهرة ، ويلم بكثير من المعلومات التي تساعده على نماء فنه فهو يعرف شيئا عن كل شيء وكل شيء عن شيء .. فالعلم والفلسفة تخدمان فنه والادب كذلك .. فصلة الفن انسانية عامة ... يثبتان علمه والاثار والحفريات

اخيرا .. هذا هو خليفه القطان فنان من وطننا يبذر بذره في ارضنا الخصبة فلنفتح الصدر والعقل امام امله ليتحقق ولنرتفع الى مستوى الفن .

حياة فنان

ان الفنان المخلص الصريح يحاول من حوله نبذه كالنواة ؛ لانه لا يجاريهم بلبس اقنعة الزيف والخداع ولانه دائما يحاول ابرازها بريشته ، ان الفنان الصادق يتألم لما يحدث من حوله من مساوىء قد تدفع مجتمعه الى الهاوية . ولكن بايمانه وعزيمته سيظل يعمل لمحاربتها حتى تبيض عيناه ويشيب شعره . انه يسمعهم في ملذاتهم يجاهرون وفي حقدهم يظاهرون وهو يستصرخهم ولكن هيهات ان يسمعوا . انه يحترق لينير لهم الطريق ولكن هيهات أن يبصروا . ان واجبهم ان يقدروه ويصونوه كالجوهرة لا أن ينبذوه كالنواة ولكن هيهات ان يدركوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول رواية

موبي ديك

عبد الرزاق البصير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعيش في هذه الايام مع القصصي الامريكي المعروف (ملفل) Melville في قصته الخالدة (موبدك) Mobydick ومن يعش مع هذا المفكر في هذه القصة فهو انما يعيش في دنيا من الافكار والاراء الصحيحة والاخبار التاريخية والدينية واوصاف لكثير من البلاد والبحار وكثير من الشعوب مما جعل القارىء يحس بأنه يجالس انسانا بذل اشق الجهود في تغذية عقله ونفسه حتى استطاع ان يحصل على هذه الثروة الفكرة الهائلة ، ومما لا شك فيه ان كل من يريد ان يتصدى للكتابة في اي لون من الوان الادب يتحتم عليه ان يبذل مثل هذه الجهود ليملك مثل هذا الرصيد الفكري لان الكتابة الواعية من الامور العسيرة التي لا يقدر عليها الا المجتهدون الموهوبون وفي اعتقادي اننا نحن الذين يتصل تاريخنا بتجربة الحياة في البحار يستحسن بنا ان نتعمق في دراسة مثل هذه القصة لتضيف الى تجربتنا تجربة غنية ولا سيما نشأنا الذي لم يعرف عن تجربتنا في البحار الا ما يقرأه في الكتب ، او ما يسمع عنه من الناس . فاسلوبنا في الحياة في الوقت الحاضر يختلف عن اسلوبنا فيما مضى اشد الاختلاف .

والحق ان الوقوف والتعليق على كل ما جاء في هذه القصة من افكار واراء من الامور العسيرة لانها كثيرة

ومتشعبة ، لكني اريد ان اقف حول بعض الافكار والاراء التي اعتقد ان لها اهمية خاصة . فمن ذلك موقف الكاتب من الديانات ، فهو يرى ان علينا ان نحترم جميع الديانات كائنة ما كانت ، ما لم تؤد الى ايذاء اصحابها او ايذاء اي فرد من الناس ، لانها لم تأت الا لاسعاد البشر . فلو ان الناس سلكوا هذا المسلك لاستراحوا من كثير من الاشياء . ومن ذلك موقفه من التفرقة العنصرية . فالكاتب يرى ان الناس متساوون فيما بينهم ، وان اللون لا يعني شيئا اكثر من تاثير البيئة والوراثة . وقد صور هذا الرأى في فصل ثويل مما يدل على ان الكاتب يرى ان لهذه القضية اهمية كبرى . فكثير من الغربيين يرون تفوق بعض الشعوب على الاخرين ، وان بعض الشعوب محتقرة لا قيمة لها . فلا يجوز لنا والحالة هذه ان نساوي في المعاملة بين جميع البشر لانهم يختلفون في ذكائهم الفطري . وهذه الفكرة قد سببت اراقة كثير من الدماء وانتهاك حقوق كثير من الامم . وما تزال البشرية تعاني منها حتى الان .

اختار الكاتب للرد على القائلين بتفوق بعض الشعوب على البعض الاخر شخصا من الشعوب البدائية ،وتخيل الكاتب ان الظروف اضطرته الى النوم مع هذا البدائي في سرير واحد . واطال في شرح مخاوفه من هذا البدائي المتوحش ومن تلك الليلة التي اجبرته بان يكون مع هذا الانسان في مكان واحد . ولكن للظروف احكام لا ترد في كثير من الحالات . وسبب ذلك يعود الى ان الكاتب قد جاء الى فندق مكتظ بالسكان فاخبره مدير الفندق ان المكان الوحيد الذي يمكنه النوم فيه هو سرير ذلك البدائي . ولم يسعه الا القبول .

ولقد كانت صورة ذلك البدائي صورة مفزعة حقا ، لان لصاحبها جسدا ضخما عريضا طويلا . وكان يحمل في يده مخلاة فيها راس آدمي محنط . غير ان هذا كله لم يكن يعني شيئا لان صاحبنا البدائي كانت جوانحه تنطوي على ضمير نقي ونفس شفيقة كريمة . لهذا لم تلبث الالفة ان جمعت بين صاحبنا البدائي وصاحبنا المثقف . ثم ما لبثت هذه الالفة ان تطورت الى صداقة ومحبة حتى بلغت درجة جعلتهما يشتركان في التدخين من غليون واحد . وظلا على هذا الحال حتى ركبا السفينة . وكان قبطانها ينظر الى البدائي نظرة ازدراء واحتقار ، لكن البدائي استطاع ان يثبت بانه افضل من كثير من الذين يتصفون بالمظهر الانيق والسمات الحضارية ولون البشرة الابيض . وبيان ذلك ان احد البحارة سقط من السفينة في البحر . وكانت الامواج عاتية والريح عاصفا مما يعرض الذي يريد ان ينقذ الغريق من الخطر المحقق . لكن كويكوج وهذا اسم صاحبنا البدائي لم يهتم بهذا كله والقى بنفسه في خضم البحر وظل يصارع البحر حتى استطاع انقاذ ذلك البحار مما جعل لذلك البدائي منزلة مهيبة في قلوب زملائه بحارة السفينة وقبطانها .

ومن عجيب الامر ان ذلك البدائي لم تظهر عليه آثار الفخر لهذه المغامرة الخطرة وانما بدا وكأنه لم يصنع شيئا بخلاف ما يتوقع من الذي يقوم بمثل هذا العمل وكأنه يقول في نفسه : هذا عالم مشترك يتبادل الناس التعاون في كل بقعة من بقاعه .

ومما لا شك فيه ان الكاتب كان يقصد من وراء ذلك تنبيه ابناء جلدته وغيرهم من الذين يذهبون الى التفرقة العنصرية الى خطئهم الفادح . وليس من شك ايضا ان كثيرا من الكتاب الاوروبيين قد عالجوا هذه المشكلة الانسانية ، لكن تاثير ذلك ما يزال ضعيفا حتى الان اذ اننا ما برحنا نرى التفرقة العنصرية عند ارقى الامم .

وقد يكون من الخير ان نشير ولو بصورة موجزة الى اول من خلق هذه المشكلة ، فان في ذلك بعض الفائدة . يقول الدكتور ممدوح حقي في مؤلفه «العنصرية والاعراق» « اليهود هم اول من ابتدع هذه ، حيث قالوا بانهم شعب الله المختار » وبنوا على ذلك امورا خطيرة جدا منها احتقار سائر الشعوب واستحلال دمائهم واموالهم وانتهاك حرماتهم . ولقد ترجموا ذلك في مواثيقهم وعهودهم المعروفة ببروتوكولات حكماء صهيون ، وانت حين تقرا هذه المواثيق والعهود يأخذك العجب والاستغراب حتى تتساءل في نفسك هل يوجد شعب على وجه البسيطة يقبل ان يسجل على نفسه مثل هذا الدليل الذي يبرهن بصورة قاطعة انه ابعد ما يكون عن احترام الانسان ، لكنك لا تلبث ان تجيب على هذا التساؤل بان ما جاء في هذه المواثيق حق لا شك فيه ، ولا سيما بعد ان اقاموا لهم دولة واصبحت لديهم القدرة على تنفيذ ما جاء في هذه المواثيق ، فهم منذ عشرين سنة ما زالوا يحققون ما يجيش في صدورهم من ضغينة ضد شعب لم تكن له معه سابقة او اثار واعني به الشعب العربي في فلسطين .

ثم ما لبث مذهب التفوق ان وجد في بعض النفوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هوى لذلك نراهم احتضنوه وطوروه الى مذهب ارادوا ان يبنوه على قواعد علمية الا ان العلم ابى ان يخضع لارادتهم ، فليس في دماء الشعوب فرق يذكر من الناحية العلمية . فأنت اذا اخذت دم اي فرد من الافراد للتحليل في المختبر لا يمكنك ان تميز بين اسود وابيض او بين شرقي وغربي ، لان نتيجة التحليل تعطي ارقاما معروفة في قواعد العلم ، فاذا كان هناك اختلاف في الذكاء في القدرة او الشجاعة ، فانما هو موجود بين الافراد لا بين الامم . وهذا يسحق حجة القائلين بأن هناك اختلافا في الدماء ، اما اللغات فانها جميعا تخضع لما تخضع له الكائنات الحية من حيث التقوية والاضعاف ، فاذا جاز ان يفتخر اي شعب بلغته ، فانما هو بخدمتها للحضارة الانسانية . ولقد دلت التجارب الكثيرة التي لا تحصى اننا اذ اتحنا لاي فرد من الافراد ما يحتاج اليه من الوسائل الاقتصادية والتربوية ، فانه لا بد وان يكون نافعا للمجتمع . اما اذا حرمنا اي فرد من الافراد كائنا ما كان من تلك الوسائل ، فانه لا بد ان يكون عالة على مجتمع . هذا ما يقوله العلم والتجربة الانسانية ، ولعل في قصة علي بن الجهم الشهيرة خير مثال على ذلك ، فقد كان ابن الجهم جافا في مظهره وتعبيره فلما تبدلت وسائل عيشه اصبح من ارق الشعراء . وجملة القول ان القائلين بالتفوق العنصري لا توجد لديهم اي حجة تثبت للنقد العلمي الصحيح الا ان من المؤسف ان الانسان لا يستمع الى العقل والمنطق الا في حالات قليلة، ولطالما عانت الانسانية من ابتعاد الانسان عن العقل والمنطق ، وربما كان التفوق العنصري سببا لكثير من الحروب وكان من جملتها الحرب العالمية الاخيرة . ولا يجوز لي ان اترك هذا المقام دون ان انوه باننا معشر المسلمين يحق لنا ان نفخر كل الفخر بموقف القرآن الكريم من هذه القضية الخطيرة . فقد قال سبحانه وتعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » . والخطاب بطبيعة الحال في هذه الاية الكريمة موجه الى عامة البشر وهو يعني ان الفضل والفخر والشرف تكمن كلها في العمل الصالح الذي ينتفع به المجتمع والانسانية جمعاء .

ولقد ايد الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) هذا المبدأ العظيم باقواله وافعاله ، فقد كان يعامل الناس جميعا معاملة متساوية لا يفرق بين غني وفقير ولا ضعيف وقوى . اما اقواله فهي كثيرة . من ذلك قوله ــ عليه السلام : «كلكم لادم وآدم من تراب »، وقوله : « والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب » .

وتتضح عظمة الاسلام وسموه عند المقارنة بين ما قرره الاسلام في هذا الصدد وبين ما قررته الشرائع في ذلك الحين . فبينما يقرر الاسلام مبدأ المساواة اذ بسائر الشرائع تفاضل بين مختلف طبقات الناس .

ولكاتب هذه القصة موقف حول فكرة انسانية طريفة رأيت التنبيه اليه واعني به المقارنة بين العسكريين الذين ما زالوا يشغلون العالم بما يقومون به في عالم الحروب، وبين صيادي الاسماك الذين لا يكاد يلتفت اليهم احد ، يقول : « جزارون نحن ، ذلك صحيح ، ولكن ماذا عن القادة العسكريين الذين يغتبط العالم على اختلاف نواحيه في تمجيدهم وتكليل رؤوسهم بالغار ! اليسوا جزارين ، وجزارين يحملون اقنى شارة دموية ؟؟ اما عن الدنس المزعوم في مهنتنا فاني سألقي اليكم بعض الحقائق التي ما تزال مجهولة بوجه عام ، وهي على الجملة ستضع حرفة صيد حوت العنبرين انظف الاشياء على هذه الارض النظيفة . لكن لو سلمنا بان هذه التهمة صحيحة فاي ظهر سفينة فوضوي زلق بما ساح فوقه من دماء يمكن ان يقارن بمجزرة في ميدان القتال لا يحقها وصف .

ولا يسع كل كاتب انساني الا الموافقة على هذه النظرة الصائبة العميقة لان البشرية لا يمكنها ان تعيش حياة سعيدة هانئة الا اذا محيت الروح العسكرية بحيث تصبح المهارة في هذا الفن موضع استهجان واحتقار لا موضع مديح وافتخار واعجاب .

ان أغلب مفاخر العسكريين لا تعني الا التفاخر بتدمير الانسان لاخيه الانسان .

وبعد ، فلئن كانت هذه القصة من القصص النادرة الخالدة ، بما يكمن فيها من اراء وافكار ومعلومات قيمة، فان مترجمها الدكتور احسان عباس قد زادها قيمة بما علقه وشرحه وحققه حتى خرجت هذه القصة اشبه شيء بدائرة معارف يخرج الانسان بعد قراءتها وقد حصل على زاد فكري ثمين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وفاء

قصة بقلم : ثامر فرحان البشير

اسدى الي معروفا لا ينسى في ايام ضيق ومحن ، ومد الي يد العون والمساعدة في ايام بؤس وشقاء . وبعد حين من الزمن واكبني الحظ كما يقولون ، ونظرت فيما كان لذلك الصديق من اياد بيضاء ، وصرت احاسب نفسي واراجع ذاتي : كيف لي ان ارد له حسن صنيعه الفذ ؟! كيف ، وبأية طريقة يمكنني ان اشعره بانني وفي مخلص .. وان ما زرعه في تربة نفسي من بذور الجميل والمعروف لم يذهب سدى .. انه نما وتدلت اغصانه بالثمر الطيب .. فلماذا لا يجنيه اذا ؟! بل يجب ان

وفاء

يأكل كما أطعم .. يجب ان يأخذ كما اسلف .. ولكن .. ولكن كيف .. ؟!

لم يطل هذا التساؤل، فقد اهتديت الى الحل الذي يشعرني ببعض الشيء من راحة الضمير وقلت : لم لا يأتي فيسكن معي ويشاطرني هذه الدار . فهي واسعة وغرفها تفيض عن حاجتي !! ولم لا .. انه وعائلته ثلاثة اشخاص فقط .. ليلى وابنته الصغيرة وشخصه الكريم .. وقفزت الى ذاكرتي ليلى زوجه .. ليلى التي طلبت يدها قبل ثلاث سنوات ، ورفض ابوها .. وعدت الى نفسي لاقول : وما الضير في ذلك ! ان الفتاة جسر كما يقولون . اضف الى ذلك انعدام العلاقة بيني وبينها بعد وقبل الخطبة .. ثم ان صديقي لا يعلم بالامر ، ونظرت الى البيت من جديد .. ونظرت الى امي .. وقلت : ربما تجد في جوارهم ما يطرد عنها الضيق والسأم .. وبذلك سوف اخفف عليه ضائقة الايجار والتنقل من دار لدار .

★★★

وفاتحت صديقي في الامر وعرضت عليه الفكرة .. وتمسكت بطلبي .. ابدى في بادىء الامر اعتراضا . وعلله ببعض وجهات النظر . ولكني رفضت .. رفضت كل اعتراض اتى به . وحطمت كل حاجز اقامه . وبعد بضعة ايام كنا كعائلة واحدة يضمنا بيت واحد .. وسرت والدتي بمجيئهم .. ومرت الايام ولا شيء يعكر صفو البيت او صفاء النفوس .. وبعد ثلاثة اشهر تقريبا صرت الاحظ تصرفات ليلى تصطبغ بلون جديد غريب عما الفته منها .. الامر الذي جعلني اتغيب عن البيت كثيرا . او احشر نفسي احيانا في غرفتي بين الكتب والمجلات اكتب او اقرأ . او اتمارض احيانا .. اما اذا اضطررت الى ان اجلس معهم كعادتي فيما سبق فاني اكون كثير الحذر ، كثير الهروب .. اتحاشى منها كل شيء .. نظراتها .. ابتساماتها .. تعليقاتها السخيفة .. ضحكاتها المجوجة .. كانت تناديني انا حينما تنادي ابنتها .. تناجيني انا حينما تناغي ابنتها .. وشعرت امي بذلك . وخجلت وتلاشت شجاعتها . ولم تقل .. ولم تفعل شيئا .. وتركتني وحيدا اصارع هذا الاغراء !! لا انكر انها جميلة جدا ، رائعة ، قد جمعت الى انوثتها الطافحة شعرها الذهبي الموج وصدرها الغض الناهد ، وقوامها المشوق الاهيف ، كل اغراء وفتن ..

ترى ماذا يكون لو طاوعتها وحققت لها رغبتها الهوجاء ؟ هل اظل رجلا في عين نفسي..؟ او في عين صديقي ثم هل يظل صديقي في عيني رجلا بمعنى الكلمة ؟ ثم هل ارتضي لنفسي ان اخدعه .. ان اطعنه في اعز ما يملك من مقدسات .. ثم هل هذا ما يجب ان يكون ؟ كلا .. كلا .. وكدت اصعق حينما شعرت بكفها تلمس كتفي وهي تقول : « مالك .. أانت ..؟ » ولم تكمل .. انما ابتسمت وعيناها تخترقان عيني باشعة غريبة قوية ساحرة .. واتسعت بسمتها وهي تقول : « لا ارى اي شيء فيك الا اللهم ربي ..!! » وصمتت .. واكملت ما تريد ان تقوله بعينها وبثغرها البسام .. واغمضت عيني لكيلا اراها ودخلت حجرتي .

لا ادري كيف فاجأتني . او بالاحرى كيف هاجمتني .. اذ لم افق الا ورأسي بين يديها .. وشعرها ينساب على صفحة وجهي ويملأ بعطره صدري .. وشفتاها .. آه .. ما هذا ..؟ انه مقرف .. مقرف يا للهول ..

لن انكر ان صدودي عنها قد اذهلها ودفعها الى الوراء بقوة ، ولكن للمرأة طابع عناد مخيف احيانا .. وغادرت الغرفة بعد ان قالت : « هذا الرماد البارد .. ربما تكمن تحته نار تتأجج !! » . دخلت امي فالفتني بذهول واضطراب لم تألفه في من ذي قبل .. ولم اتمالك نفسي .. ارتميت في حجرها مرتبكا كما لو كنت طفلا قد اصابه بعض الاذي ، وقلت لها وما زلت ارتج من الاضطراب : « انقذيني يا اماه .. لقد كدت .. لقد كدت انزلق .. ودفنت رأسي في صدرها كالطفل ، وراحت امي تهدىء من روعي ، وهي تقول : « صدقني يا بني لقد تكلمت معها كثيرا بما يثير حياءها ويوقظ كبرياءها ويصون كرامتها ، ولكن دون جدوى ، فقد كانت تعلل ذلك انها تعاملك كأخ .. كشقيق .. وهي ترى ان ذلك ليس فيه ما يشين ..

★★★

بعد ثلاثة ايام جاءني صديقي الى مكان عملي وهو يتميز من الحزن والاسى وقال : « لقد انتقلنا يا اخ (.....) وارجو ان تعتقد بان روحينا سوف تظلان على عهدك بهما من صفاء وود واحترام ... »

لم اسأله كثيرا عن الاسباب فقد كنت اعلم بما خطته امي لترحيلهم ولكنه استطرد يقول : « ان امك سامحها الله ..! » وشد على يدي مصافحا وتجدد حبه واكباره في نفسي . وصرنا نلتقي كما كنا سابقا يفرغ في نفسي ما افرغه في نفسه ، ويتلقى مني ما اتلقاه منه على خير ما يرام من الصداقة والود ..

وهم محدثي بالانصراف وهو يقول :

« اختبر الرجل بالمرأة والمرأة بالذهب » .

الصَّعاليك في الشعر الجاهلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : عبدالله خلف

التعريف اللغوي :

الصعلـــوك : الفقير الذي لا مال له .
صعاليك العرب : ذؤبانها اي اللصوص المشبهة بالذئاب
تصعلكت الابل : خرجت اوبارها وانجردت .
وتصعلكت الدابة : اي دقت قوائمها

وردت هذه التعاريف في لسان العرب لابن منظور . وفي العامية الكويتية تعنى نحيف الجسم . فنقولها هكذا فلان صعلوك وفلان مصعلك كما هي في لسان العرب . واستشهد في العامية الكويتية في بحث لغوي لان العامية الكويتية لا زالت مليئة بالالفاظ القديمة الفصحى التي نراها في ديوان الجاهلية .

ولقد ظهرت شروح كثيرة للفظة الصعاليك واستنتاجات اقربها هو ان الصعلكـــة تعنى « التجرد » من المـــال والتجرد من السمنة . وقيل يتصعلك اي يفتقر كأنما تجرد من ماله وبدا ضامرا بين الناس .

وفي اعتقادي ان الصعلكة معناها الاول دل على نحافة الجسم واخذ بعد ذلك اصطلاحا للمادة . وربما يقاربه هذا الاصطلاح « فلان حافي » تعنى في العامية الكوينية الذي لا مال له . والاصل من فلان حافي القدمين ، الذي يطأ الارض وهو عاري القدمين ، والاستعارة في العربية مألوفة بهذه الطريقة .

ولقد اجمع الكثير على تفسير الصعاليك بذئاب العرب على انها تعني لصوصها ، جاء هذا في لسان العـــرب والوسيط وكثير من المعاجم . وقد ختم يوسف خليف (★) تفاسير هذه المعاجم في مقدمة كتابه عند باب التعريف بالعبارة التالية : « ولكن يبدو ان هذا المعنى لا يعبر عن المفهوم اللغوي للكلمة تعبيرا دقيقا كاملا » ويقصد عـــدم التركيز اللغوي على اللفظ . وارى في التفسير الثاني لذئاب العرب لا تعنى مطلقا في القديم لصوصها . لانه لو كان المراد بها هذا المعنى الجارح لما استعملها الصعاليك انفسهم وتخاطبوا بهـــا . فالصعاليـــك في رايي حتى بتعريفهم بذئاب العرب انها تعني التعبير عن الذكـــاء والدهاء . فكثيرا ما يقال فلان سياسي محنك او عسكري داهية فيوصف بالثعلب كمـــا وصف « رومل » بثعلب الصحراء في الحرب العالمية الثانية . وكذلك بذئـــاب العرب تعنى في رايي دهاة العرب وخـــاصة وان لهم فلسفة وفكرا سليما ونبـــلا واخـــلاقا وشجاعة وهدفا

★ كتاب الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .. للدكتور يوسف خليف .

الصعاليك في الشعر الجاهلي

نستطيع ان نعطيه في عصرنا هذا اسم التمرد على الظلم ، او الثورة على الطغيان والجماعة هذه بالمتمردين او الثائرين . ولقد ذكر الدكتور احمد امين في احد اعداد سلسلة « اقرا »★ بحثا حول الصعلكة والفتوة في الاسلام في اشارة قصيرة حول لفظة « صعلكة » فقال : الصعلكة في اللغة الفقر وكذلك تعني لصوصية .ويسمى هؤلاء « ذؤبان العرب » لانهم يختطفون المال كما تخطفه الذئاب . ويقول ربما انتقلت هذه الكلمة من عز الى ذل كما انتقلت لفظة حرامي من عز الى ذل . الى ان اصبحت بمعنى لص . كانت في الاصل تدل على النسبة الى « حرام » وهي قبيلة تناهض قبيلة « سعد » وكان الناس ينقسمون الى قسمين سعدى وحرامي ، فلما ذل اصحاب حرام ذلت كلمة حرامي فأصبحت تطلق على اللص) وهذا راي سليم استطيع به ان اوضح ما سبق ان اوردته بأن هذه الكلمة لم تكن تعني اللصوصية حتى ولو وصفت بالذئاب ولا يخرج المعنى عن هذا :

١ ــ اخذت الصعلكة اصطلاحا للفقر وهي من اصل النحافة .

٢ ــ الصعلكة بمعنى ذئاب العرب لا تعني اللصوص بل تعني الدهاء والمكر .

٣ ــ ومحتمل ان يكون لهذه الكلمة معنى عزيز ذل فيما لانه ليس من المعقول ان يكون لهذه الكلمة معنى جارح بعد .

او سيء ولو كان هذا ما استعمله الشاعر ولقب به نفسه واخوته واصحابه واهله .

لمحة عن حياة الجاهلية وأفكارها

وضعت دراسات مختلفة عن الادب الجاهلي وفي المكتبة القديمة كثير من المؤلفات القيمة وكذلك في المكتبة الحديثة العربية وغير العربية . والدراسات تكاد تكون في اطار واحد لا فرق الا من ناحية واحدة وهي ان القديم كان يدرس على ضوء الدين والمقارنة بين الحياة الاسلامية والسابقة لها وبالطبع بهذه المقارنة تظهر ضآلة تلك الحياة الاجتماعية امام نور الاسلام وعظمته . ورغم ذلك وضعت دراسات منهجية حديثة اوضحت تلك الحياة . وهذه الكتب تستشهد من الشعر نفسه لابراز صور الحياة الجاهلية ، وتبين بما ليس فيه شك ان للجاهلية رقيا لغويا يشهد له القرآن الكريم ، ورقيا فكريا يتمثل في الشعر الرفيع الذي تكمن فيه فلسفتهم وادبهم وفطنتهم وذكاؤهم . وان قارنا حياتهم بغير الاسلام ، قارناها بحياة الشعوب المعاصرة لهم لرايناهم ان لم يكونوا افضلهم فهم ابرزهم واكثرهم استعدادا للتالق والصعود .

ومجال الحديث او الكتابة عن الشعر الجاهلي وادب العصر الجاهلي كبير ، وعندما فكرت في كتابة شيء عنه تأملت ديوان الجاهلية فلم اجد مجالا اخصب للبحث الا في شعر الصعاليك الذي يصور الحياة الجاهلية اكثر من جانب بصور صادقة واضحة . وان استنكر الدكتور طه حسين ما جاء في الادب الجاهلي واعتبره من ادب الانتحال لخلوه من صور لحياة العصر الجاهلي . ومن ابرزه صورة الحياة الاجتماعية حيث الفقر والغنى والبخل والكرم وعاب القول السائد في الادب ان العرب في الجزيرة لم تعرف الا بالكرم . ولقد استند في رايه بالقران الكريم الذي يحث الناس على مساعدة الاخرين وأمرهم بالزكاة والصدقة .وخاطب البخلاء الذين يمنعون الماعون وانذرهم واشار في آيات كثيرة الى اليتامى والبؤساء والفقراء والمساكين . وكان اهل الجزيرة اصحاب ثروة وقوة وبأس ، واصحاب اقتصاد داخلي وخارجي. وكان فيها اغنياء وفقراء ، ومعدمون كما في كثير من الاقطار في اي زمان ومكان . وكانت الطبيعة ايضا تجود حينا وتبخل فتهدد الصحراء وتبدد . وعموما ان الطبيعة والبيئة الصحراوية كانت قاسية والمناطق الخصبة ضيقة ومحدودة ، اما معظم القبائل فكانت في صراع مع الطبيعة تبحث عن الماء وتجري وراءه في مواسم الشتاء وتبحث عن المراعي ، وعندما يأتي الجدب تخلق الازمات الاقتصادية ويشتد الصراع لمغالبة الفاقة والهلاك .

اما الشبكة التجارية فكانت مستمرة في حل الاحوال والظروف فكانت رحلة الشتاء والصيف ، وتجوب القوافل ارض الجزيرة من جنوبها الى شمالها ومن شرقها

★ اسم الكتاب .. الصعلكة والفتوة في الاسلام .. العدد ١١١ من سلسلة « اقرا » صدر سنة ١٩٥١ م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى غربها . وتمر بالطبع على مختلف القبائل المتنعمة بالمال والغنى ، كما تمر على الفقراء والمعدمين اللائذين في بطون الوديان والمتشردين على كثبان الرمال الباحثين عن الشراب والطعام . وتمر القوافل التي تنوء بالاثقال بالاطعمة والكساء والعطور الثمينة واللآلىء والسلاح فيسيل لها لعاب الفقراء فيغيرون على هذه القوافل وهذه ظاهرة عرفها التاريخ في كل الدهور وفي كل الشعوب الكبيرة . وما اساطيل القراصنة في القرون الوسطى السابحة في المحيطات والبحار الى وقت متأخر الا نوع من هذا الصراع وفيهم المحترفون وفيهم المضطرون وكذلك قطاع الطرق على الارض . والصعاليك هم من هؤلاء ، ولكنهم يكونون ظاهرة تكاد تنفرد بهم لما فيهم من اخلاق وشهامة ونبل . انهم ثائرون على اوضاع شاذة على نظام قبلي لا يعترف بابناء الحبشيات والاماء والسوداوات اي انهم لا يعترفون بابناء زوجاتهم وجواريهم فقط لانهم اكتسبوا لون امهاتهم . هذه غاية نبيلة . فيها ثورة على الفكر الغير سليم . وثورة اخرى لهم على الاغنياء الاشحاء ، وثورة على نظام الثأر وطلب الدم . وثورة على اوضاع وتقاليد اخرى غير منطقية . فلو كان لهذه الجماعات نظام موحد مع افكارهم هذه لسطر لهم التاريخ بطولات قيادية . ولكن لم يكن لهم ذلك لان اغلب المجتمعات القبلية حتى الفقيرة كانت تنظر اليهم نظرة الغضب لخروجهم على نظامهم ودستورهم واعتقاداتهم وما هم في نظرهم الا قطعان من الذئاب المتوحشة السارقة الناهبة .

من هم الصعاليك ؟

قلت ان الصعلوك في اللغة هو الفقير ، ولم تقف هذه اللفظة في الجاهلية عند دلالتها اللغوية الخالصة ، بل اخذت تدل على من يتجردون ويتفرغون للغارات وقطع الطرق والثورة على كل من يناهضهم ويخالف افكارهم . واقول افكارهم لانه كانت لهم مبادىء كما اشرت لا يثورون الا لتحقيقها وخاصة التي اخذ به عروه بن الورد كبير الصعاليك صاحب الجمعية (التعاونية) ان صح التعبير ، لانه فعلا هذه غايته من انشائها ، راس مالها اموال الاشحاء البخلاء التي يغتصبها هو وجماعته ليعاون ويساعد ويعيش فيها الفقراء على مختلف انواعهم .

والصعاليك ثلاث مجموعات :

١ — مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم مثل حاجز الاردى وقيس بن الحدادية وابى الطمحان .

٢ — مجموعة ابناء الحبشيات السوداوات من نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم وعابوا عليهم سوادهم . وثورة هؤلاء على الاباء والقبيلة ثورة حقة ومنطقية مثل السليك بن السلكة ، وتابط شرا والشنفري وسموا بأغراب العرب .

٣ — المجموعة الثالثة لم تكن من الخلعاء ولا من ابناء الاماء ولا الحبشيات ولكنها احترفت الصعلكة احترافا امثال عروة بن الورد العبسي . لتغير وضعا اجتماعيا ولمكافحة الاستبداد والاحتكار المادي ، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم قرب مكة والطائف .

والصعاليك كثيرون ، اقصد هنا شعراءهم ، حوالي بضعة عشر ، ويطول مجال الحديث عنهم ولذلك اختار اشهرهم واكثرهم دورانا على الالسنة :

١ — عروة بن الورد القيسي .

٢ — تابط شرا .

٣ — السليك بن السلكة .

٤ — الشنفري .

شعرهم :

لقد تركزت عناية الرواة والشراح بدواوين المشهورين من الشعراء ، الشعراء الامراء ، واصحاب المعلقات والشعراء الفرسان والحكماء وذلك لارضاء الزلفاء والملوك ومجالس الامراء . وما خطر على بالهم ان الاجيال والقرون بل العصور ستقرا ما دونوه وان التاريخ سيسجل كل ما سطروه وانه يطالبهم حتى بالساقط من شعر هؤلاء او ذاك الذي يتكلم عن عقائدهم وعاداتهم وقسوتهم وتحديهم ، انهم لم يهتموا بذلك الاثر الديني (الاسلامي) لعدم اقتناعهم به . فضاع كثير شعرهم في عزلتهم وتشردهم بين كثبان الرمال والوحوش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصعاليك في الشعر الجاهلي

وعند افراد لم يحفظوه ولم يدونوه لجيلهم فلم يصل الى التاريخ الادبي الا القليل ورغم ذلك فهو مرآة واضحة لحياتهم وللحياة الجاهلية عامة . وسبب آخر قديم لضياع شعرهم ،وهو ان هؤلاء عبارة عن جماعة خارجة على المجتمع متمردة عليه . فلم يهتموا بمجتمعهم ولم يهتم مجتمعهم بهم لذلك اهملت قبائلهم كل شعرهم لانه لا علاقة له بهم . لا يمدحهم ولا يثنى عليهم وهم لا يهتمون الا بشعر ابنائهم الخاضعين لتقاليدهم وعاداتهم ودستورهم القبلي .. والصعلكة ليست وراثة بهم بل انهم انتهجوا هذه الغاية بعد ظرف خاص فاعتزلوا اهلهم وهم كبار . اذن لغتهم هي لغة قبيلتهم وطباعهم طباعها وقوتهم اللغوية هي تلك القوة التي نشأوا عليها في العصر الجاهلي . وما هناك الا خلاف في التعبير حسب تفكيرهم وغاياتهم واهدافهم واعتقاداتهم الجديدة التي انتهجوها في عزلتهم هذه .

ولقد وصل الينا من دواوين الشعراء الصعاليك ديوانان . ديوان عروة بن الورد وديوان الشنفري .. ويذكر ابن النديم ان شعر عروة بن الورد قد جمعه اثنان من الرواة : الاصمعي وابن السكيت ، كما ورد في كتاب الدكتور يوسف خليف عن كتاب الفهرست) . ولاهمية كتاب عروة بن الورد طبع في الشرق والغرب طبعة المانية سنة ١٨٦٣ طبعة « نولدكه » . وللديوان ترجمة فرنسية قام بها الاستاذ « راست » . وكذلك ديوان الشنفري وصل الى ايدينا . وللشعراء الباقين قصائد مختلفة توجد في كتب الادب .

نماذج من شعرهم

عروة بن الورد : هو من عبس ، كان شاعرا فارسا وكان يلقب بعروة الصعاليك لانه كان بمثابة الرئيس عليهم . يجمعهم ويقوم بأمرهم اذا اخفقوا في غزواتهم . وكانت له (جمعية) كما ذكرت بمثابة الجمعية التعاونية يأوى اليها الفقراء ويطعمهم من اموال الاغنياء البخلاء الاشحاء الذين لا يتصدقون بما عندهم من اموال .

وهذا هو يتغنى بالصعلكة وينهي امرأته عن التعرض له اذا خرج للقتال او اراد ان يفرق الغنيمة على الفقراء، واكبر ميزة له انه كان يشعر بالناس اكثر مما كان يشعر بنفسه وجاء بذلك الابداع الفني الرائع .

(اقسم جسمي في جسوم كثيرة)

في قوله :

اني امرؤ عافى انائي شركه
وانت امرؤ عافى انائك واحد
اتهزأ مني ان سمنت وقد ترى
بجسمي مس الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد

وهذا رد على من تعرض له وعاب عليه نحافته فاجابه بهذه الابيات الرائعة وبهذا التصوير الفني الجميل . وكيف كان هذا الرد : اني يشركني كثيرون من السائلين ذوى الحاجة في انائي وطعامي ، اما انت فلا يشركك احد لذلك سمنت وصرت انا ضامرا نحيلا ، وما نحافتي الا دلالة على قيامي بحقوق هؤلاء المحتاجين المعوزين . وانه في مغامراته التي يجلب فيها رزق الطبقة المعدومة التي يتكفلها ويرعاها ، يلاقي المصاعب والمخاطر . فهذه زوجته تخاف عليه فتحاول ان تنهيه عن هذه الاعمال . فاجابها انه يرمي بنفسه من المخاطر من اجلها ومن اجل رفاقه واهله واصحابه وهذا قوله :

تقول :

لك الويلات هل انت تارك
ضبوءا برحل تارة وبمنسر

ويرد بعد ذلك :

ابي الخفض من يغشاك من ذى قرابة
ومن كل سوداء المعاصم تعتري
ومستهنىء ، زيد أبوه ، فلا ارى
له مدفعا ، فاقني حياءك واصبري

اذن هو يغزو من اجل الوفاء بحقوق المستضعفين ثم يعرض لها صورة صعلوك خامل جامد لا حراك به ، والقابل للخنوع والرضى بفتات موائد الاغنياء بكل ذل لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يهمه اهله ولا عياله .

لحى الله صعلوكا اذا جن ليله
حصافى المشاش آلفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليلة

اصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح قاعدا
يحث الحصا عن جنبه المتعفر
يعيش نساء الحي ما يستعنه
فيضحى طليحا كالبعير المحسر

ولا اروع من هذا الوصف الفني الدقيق لهذا الفقير الذليل الذي ينام ويصحو لا يفكر في شيء وفي الصباح لا يجد من العمل الا خدمة النساء لانه ضعيف لا يقوى على المغامرة والرجولة .

ويصف صعلوكا اخر غير الاول وذلك للمقارنة بين هذا وذاك ليقوى حجته امام زوجته سلمى :

ولله صعلوك صحيفة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على اعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيح المشهر
وان بعد لا يأمنون اقترابه
تشوق اهل الغائب المتنظر
فذلك ان يلق المنية يلقها
حميدا وان يستغن يوما فأجدر

هذا الصعلوك غير ذلك . ذاك يبغضه وهذا يثنى عليه ويصفه بصاحب الوجه المشرق ، والاعمال الحميدة . ونلاحظ ايضا انه ذكر الاول والثاني باسم الصعلوك ، وذلك بدون اي دلالة لمفهوم اخر فيه تجريح او ما يدل على ان الكلمة تعنى باللص او السارق . والذي اشرت اليه في موضع سابق حول معنى هذه الكلمة فان هاتين القصيدتين توضحان رأيي انه لا تدل الا على (الفقر) واستعمالها للنحافة ما هو الا اصطلاح فقط . اما معنى اللصوصية فهذا اطلق عليهم فيما بعد ، ومن المحتمل انه اطلق عليهم بعد الاسلام .

وهذه قصيدة اخرى يتكلم فيها عن شجاعته :

ايهلك معتم وزيد ولم اقم
على ندب يوما ولي نفس مخطر
سنفزع بعد الياس من لا يخافنا
كوسع في اخرى السوام المنفر
نطاعن عنها اول القوم بالقنا
وبيض خفاف وقعهن مشهر
ويوما على غارات نجد واهله
ويوما بأرض ذات شث وعرعر
يريح على الليل اضياف ماجد
كريم ومالي سارحا مال مقتر

انه يقول في اول قصيدته انه عار عليه ان يقعد خاملا فتهلك عشيرته (معتم) و (زيد) فلا بد اذن من المغامرة والبطولة واقتحام الشدائد والهجوم على القبائل لاخذ الغنائم لرعاية الضعفاء ويوما على نجد ويوما على ارض ذات شث وعرعر .

وعروة هو ابرزهم ويشار اليه دوما بانه رجل شهم شريف ونبيل . وانه بامكانه ان يكتفي بما يناله في غارة واحدة فيغنى ولكن ليس هذا ما يرمي اليه ، انه يريد ان يطعم اكثر عدد يمكنه اطعامه وانقاذه من الفاقة والجوع والهلاك .

الشنفري ★

الشنفري شاعر جاهلي من بني الحرث بن ربيعة بن الاوس من عشيرة الاواس قحطاني النسب ويدل اسمه على انه غليظ الشفاه ، امه حبشية ، وورث عنها سوادها وعد من اغربة العرب وهو ابن اخت تأبط شرا واتقن الصعلكة منه . له ديوان مطبوع بالالمانية والانكليزية كما ذكر ذلك الدكتور يوسف خليف في اول كتابه . (الشعراء الصعاليك) وهذه قصيدة يصف فيها غارة له مع جماعته .

وباضعة حمر القسي بعثتها
ومن يغز يغنم مرة ويشمت
خرجنا من الوادي الذي بين مشعل
وبين الجبا هيهات انشات سريتي

المفضليات للمفضل الضبي ص ١٠٨ .

الصعاليك في الشعر الجاهلي

أمشي على الارض التي لن تضرني
لانكى قومـا او اصـادف حمتي
وام عيال قد شهـدت تقوتهـم
اذا اطعمتهـم او تحـت وأقلت

وصف دقيق لا يغالي فيه ولكنه يصف الحقيقة اي انهم قد يرجعون مهزومين او غالبين ولا يثبط ذلك عزمهم حيث يهزمون بل يمضون ويقدمون ، وصور خاله تأبط شرا الذي كان بيده الزاد يطعمهم به دون اسراف ويدعـوه بدعابة حفيفة انه امهم . (ام العيال) .

تأبط شـرا

من قبيلة فهم ، وابن امة حبشية سوداء كالشنفري ويعد من اغربة العرب . سمى بتأبط شرا لانه تأبـط سيفا وخرج ولما سئلت امه عنه قالت تأبط شرا وخرج (١) وقيل انها سمته بذلك لانه يتأبط جرابا مليئا بالافاعي وربما قبيلته هي التي لقبته بهذا (٢) . وهذه قصيدة له يتكلم فيها عن احدى غاراته الفاشلة مع الشنفري وعمرو بن براق على بجبليه ويصف طريقة هروبه من الكمين الذي نصب له وكيف دبر حيلة محكمة تمكن بها من الهرب مع صحبه ويذكر سرعته الفائقة :

يا عيد مالك مـن شوق وابراق
ومر طيف على الاهوال طـراق
يسرى على الاين والحيات محتفيا
نفسي فداؤك من سار على ساق
ليلة صاحوا واغروا بي سراعهـم
بالعيكتين لدى معدى ابن بـراق
كانما حثحثوا حصـا قوادمـه
او ام خشف بذى شث وطبـاق
لا شيء اسرع مني ليس ذا عـذر
وذا جناح بجنب الريـد صفـاق

وصف اولا طيف حبيبته الذي جاءه في اسره وتجـاوز المخاطر الى ان وصله وكيف سارع هو وعمرو بالفرار دون ان يستطيعوا اللحاق بهما . ولا شيء يقدر ان يلحق به لا الطير ولا الفرس . .

وهذه قصة طريفة يحدثنا بها وهي انه اغار على هذيل اعداءه الالداء ليسرق عسلا . وعلمت هذيل بخبره . فحاصروه في الغار وطلبوا اليه التسليم . ولكنه مضى يراوغهم وقد اخذ يسيل العسل على فم الغار ثم عمد على زق فشده على صدره . ثم لصق بالعسل . ولم يزل يزلق حتى جاء سليما الى اسفل الجبل فنهض وفاتهم ★ وذكر في قصيدة له هذه الحيلة وبداها بالحكمة ووجوب التريث والتأني والتفكير . فالشخص الحازم هو الذي يستعين بالحيلة في مواطن الخطر .

اذا المرء لم يحتل وقد جـد جـده
اضاع وقاسى امـره وهو مدبـر
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصـد مبصر
فذاك قريع الدهر ما عاش حـول
اذا ستر منه منخر جاش منخـر

السليك بن السلكه

قبل ان اتكلم عن السليك بن السلكه اود ان اشير الى عملية النهب والسلب عند البدوي اذا حدثت بطرق الحيلة المحكمة والشجاعة والاستبسال فانها كانت من الامور الطبيعية ولا يستنكرها شعوره وانه يفتخر في هذا العمل كلما كان فيه الهول والشدة والقوة . وهناك موضوع الاغارة على الاهـل والقبيلـة وذوي القربى والنسب فان العرف يستنكرها والقانون في الجاهلية اما اذا كانت هذه القبيلة معادية لهم حتى ولو كانت قبيلـة ابناء العمومة والخؤولة فان ذلك الاستنكار يرفع في هذه الحالة كما لو كانت غريبة . لذلك لم ينظر الى الصعاليك نظرة استغراب الا لانهم خرجوا على قبائلهم واعتبـروا شذاذا . اما لو كانت غاراتهم علـى الاعداء والغرباء فقط لما ميزوا ، لان الاعراب اغلبهم يغيرون ويسلبـون وينهبون عندما يهدهم الجوع . وقد تميزوا لانهم ثائرون ومتمردون على من لا يرضيهم من القوم والاعداء . .

وصيحات الجوع وآهات الالم واضحة في شعرهـم ولكن بأنفه وعزة نفس واظهار ذلك بحق شرعي ووسيلة

★ خزانة الادب للبغدادي ٣٥٧/٣ .

(١) المفضليات ص ٢٧ اول قصيدة في الكتاب .
(٢) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ٣٧٧

لا بد منها للانتقام ولتلقين الاغنياء الاشحاء درسا واجبا لذلك نجد ذلك في ديوانهم دون اي حرج او اي تستر في ايراد الغنائم التي تنظر اليها انها سرقات ومن اكبر الكبائر .

وهذا السليك يخرج في ليلة ممطرة مع بطانته فيضعهم في المؤخرة ويبدأ الزحف . وعند الهدف يتربص هوبمفرده ظاهر البيت حتى اذا خرج صاحب البيت ليطعم ابله وهو ملثم بردائه من شدة البرد طعنه من خلفه فارداه قتيلا وهذا هو يصف صنيعته :

وعاشيه راحت بطانا ذعرتها
بسوط قتيل وسطها يتسيف
كان عليه لون برد محبر
اذا ما اتاه صارم يتهلف
فبات له اهل خلاء فناؤهم
ومرت بهم طير فلم يتعيفوا
وباتوا يظنون الظنون ، وصحبتي
اذا ما علوا نثرا اهلوا واوجفوا
وما تلتها حتى تصعلكت حقبة
وكدت لاسباب المنية اعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
اذا قمت تغشاني ظلا فاسدف

وهنا يصف الشاعر عملية البدء في تنفيذ الخطة دون ان يشير الى طريقة خروجه ولا عن الجو الذي حوله . بدا راسا في شرح عملية طرده للابل بعد قتل صاحبها وتعبيره عن فرحته في هذه الغنيمة التي انتصر بها على الجوع وشبح الموت الذي يهدده ويهدد جماعته .

موضوعات شعرهم

ولم تخرج موضوعاتهم عن حرفهم المعروفة (الغزو والاغارة والسلب والنهب) وتحدثوا عن المغامرات والاساليب التي ينتهجونها في غاراتهم من دقة وذكاء وحيل مختلفة وسرعة في العدو وعن رفاق الغارة والمغانم .

وعن شعر المراقب ، والمراقب هي الاماكن التي يتحصنون بها ويراقبون المارة من القوافل السيارة والجماعات التي يسطون عليها بحيث يرونهم دون ان يلاحظوهم ، ولكل منهم قول في (المراقب) .

هذا الشنفري يقول :

ومرقبة عبطاء يقصر دونها
اخو الضروة الرجل الخفيف المشغف
نميت الى اعلى ذراها وقد دنا
من الليل ملتف الحديقة اسدف

وعندما قتل الشنفري رثاه تأبط شرا :

ومرقبة شماء اقعيت فوقها
ليغنم غاز او ليدرك ثائر

وفي مجال اخر يصفها باسلوبه الطريف المرح بالعجوز الشمطاء ذات الملابس البالية :

ومرقبة يا ام عمرو طمرة
مذبذبة فوق المراقب عيطل
نهضت اليها من جثوم كأنها
عجوز عليها هدمل ذات خيعل

وذو الكلب صعلوك اخر يقول :

ومرقبة يحار الطرف فيها
تزل الطير مشرفة القذال

وصعلوك اخر معروف بذكر مرقبته :

لست لمرة ان لم اوف مرقبة
يبدو لي الحرف منها والمقاضيب

وجميع الصعاليك يتكلمون عن هذه (المرقبة) وهي في اي جبل او مرتفع او بين اطلال او اية ربوة وهي بمثابة برج المراقبة الذي يترصدون فيه غاياتهم .

وهنا مواضيع اخرى كالوعيد والتهديد . ورأينا في المفضليات كيف يعبر الشنفري عن وعيده وتهديده لبني سلامان ، اولئك الذين اشربت نفسه بغضهم لانهم هم سبب تشرده وصعلكته والذين عاهد نفسه ان يقتل منهم مائة ويتوعدهم كثيرا ويهددهم بعنف وقوة . والاسلحة ايضا من المواضيع الهامة في شعرهم ويصفها الدكتور يوسف خليف في كتابه انها القوة الثالثة عندهم بعد قوة قلوبهم وارجلهم والتي يجمعها تأبط شرا في هذا البيت في رثائه للشنفري :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصعاليك في الشعر الجاهلي

فلا يبعدن الشنفري ، وسلاحه الا
حديد وشد خطوه متواتر

والاسلحة التي يصفونها هي اسلحة العصر الجاهلي، اسلحة الهجوم والدفاع المعروفة ، واحاديثهم عن الرفاق والاصحاب الذين يقومون سويا في الغارات والسلب . وكذلك احاديث عن الفرار وسرعة العدو والغزوات على الخيل . ويطول المجال عند الاستشهاد . وهو كثير في شعرهم وفي غاية الدقة والجمال الفني . وفي شعرهم اغراض اخرى غير الصعلكة وهي المتعلقة في حياتهم الاولى وهم اعضاء في القبيلة قبل انفصالهم عنها وشعرهم هذا كباقي شعر شعراء الجاهلية ، فهم يمدحون قبائلهم ويفتخرون بهم ويسهبون في القول عن حياتهم مع مجتمعاتهم القبلية . ومرحلة اخرى عاشوها وعبروا عنها وتطبع شعرهم بها وهي المرحلة الاسلامية لانه هناك المخضرمون الذين ادركوا الجاهلية والاسلام .

وتمتاز قصائدهم من الناحية الفنية بعدة خصائص تظهر بها :

اولا : ظاهرة المقطوعات القصيرة الخالية من المقدمات والتمهيد والدخول الى عين الموضوع في هذه المقطوعة القصيرة واستثنيت تائية الشنفري (١) ولابن عمرو ذي الكلب . ورائية عمرو بن الورد . ونونية صخر الهزلي . ويعلل الدكتور يوسف خليف ذلك في قصر المقطوعات بسبب طبيعة عملهم وحياتهم . الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش الذي صرفهم عن فن الاطالة . بعكس الطبقة المترفة المستقرة الهانئة التي تطيل في ابيات شعرها .

ثانيا : وهي وحدة الموضوع . فلم تخرج قصائدهم عن اطار واحد . فوصف المغامرات . والحديث عن سرعة العدو ، والفرار . او تقرير فكرة اجتماعية او اقتصادية او اي تعبير عن حالتهم من جوع وفقر وما الى ذلك . كلها في موضوع الصعلكة . الصعلكة على مختلف معانيها اللغوية . الفقر . واللصوصية ، والفتوة كما وصفها الدكتور احمد امين .

ثالثا : التخلص من المقدمات الطللية .

معظم الشعر الجاهلي يتسم بظاهرة المقدمة المكررة في ظاهر قصائدهم وهي المقدمات الطللية . والبكاء على الاخلاص وتذكر الحبيبة . والبكاء عليها والحرقة والالم عليها . والعشيقة او الحبيبة هذه احتلت عندهم مكانة اكثر من زوجاتهم . اما الصعاليك فلا نجد مطلقا هذه المقدمات ، ولا ذكر الحبيبة الغير مستقرة معهم ولكن ذكروا زوجاتهم ومحبتهم وارتباطهم الوثيق بهن رغم حياتهم القلقة . فاظهروا صورة المحبة التي تكنها زوجاتهن لهم وخوفهن الدائم على حياتهم وكيف يعبر الصعلوك برفضه لطلب زوجته برفق وادب رفيع ويقابل جزعها بابتسامة الواثق بنفسه ويحاول ان يقنعها بثقة وايمان بسداد رايه .

رابعا : ظاهرة التحلل من الشخصية القبلية ، وطبيعي ان يكون هذا الشعور عند كل صعلوك عند كل ثائر على قبيلته على اوضاعها ومعتقداتها على نظامها . فبدلا من الشخصية القبلية ظهروا بشخصية جديدة شخصية الصعلوك التي تحتل الصعلكة وتتكلم عن اسرة الصعلكة عن زملائهم في هذه الصنعة . وكانوا متحابين ومخلصين . ومتوادين لبعضهم فعلا كالاسرة المتحابة المترابطة فكانت لهم اخلاق رفيعة وفلسفة وفكرة اجتماعية واقتصادية بلغت ذروتها عند عروة بن الورد .

خامسا : ظاهرة الشعر القصصي : شعرهم اغلبه عباره عن مقطوعات شعرية قصصية رائعة . فمثل حياتهم خير تمثيل في كرهم وغاراتهم وفرارهم وترقبهم وكيف يأكلون خبزهم . وكل رغيف يسدون به رمقهم كانت له قصة فيها تعريض حياتهم للمخاطر والاهوال ، والتشرد في الصحراء بين وحوشها واشباحها وقسوة طبيعتها .

سادسا : الواقعية :

هذه الظاهرة نلاحظها في شعرهم ايضا . نرى حياتهم بما فيها من جوع حتى الموت . الى الشعور بالحر والبرد ، والتشرد . والاضطهاد وغضب القبيلة . ونجاحهم في الغارات وفشلهم والمكاسب والغنائم والاضرار والخسائر التي يلاقونها . وتصوير البيئة وما حولهم من كل مظاهر الحياة التي صورها بسرعة فنية فائقة .

(١) المفضليات ١٩٤ ، ٢٠٧

رأي
حول الخلاص

بقلم : طارق عبدالله

خاتمـــة :

هذه صورة مصغرة لحياة الصعاليـــك بينت فيهـــا باختصار مكانتهم في العصر الجاهلي ونماذج من شعرهم والموضوعات التي طرقوها . والظواهر التي برزت في شعرهم . ومن خلال اطلاعي على بعض ديوان الشعر الجاهلي والدراسات والموضوعات التي قراتها لم اجد اتفاقا موضوعيا الا في شعر الصعاليك . انهم يهدفون الى فكرة والى تحقيق غاية انهم ثائرون على قوة كبرى ليحققوا فكرة اجتماعية نبيلة وسامية وفكرة اقتصاديـــة خطرة . فلو كان لهؤلاء رابطة ونظام لكتب التاريخ لهم غير ما كتب . ولو ظهر معهم سيد من سادة العرب ووقف بجانبهم لكان لهم شأن كبير ولعدل التاريخ والناس في وصفهم بغير ذئاب العرب ولصوص العرب ولوصفوهم بالثوار والابطال . لانهم في رأيي يملكون كل ما يملكـــه الابطال الذين غيروا التاريخ يملكون الايمان والقـــوة والشجاعة والفكرة والفلسفة . لذلك لم اجد في الكتابة عن اي شاعر الا سرد ترجمة اما الكتابة عن هؤلاء فاني وجدت موضوعا قيما لا زال هدفا كبيرا في نظـــري ، ارجو ان تتاح لي فرصة اكبر احـــاول ان اكتب فيهـــا ما يحقق الفائدة والنفع .

المراجع :

١ ــ المفضليات .
٢ ــ خزانة الادب للبغدادي .
٣ ــ الامالي .
٤ ــ شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي للدكتور يوسف خليف .
٥ ــ الصعلكة والفتوة في الاسلام للدكتور احمد امين .

في بيان سبتمبر ١٩٦٧ قرانا قصة عبد العزيز السريع الجديدة : الخلاص . ومن سبق له ان قرأ قصص عبد العزيز السريع السابقة (الذبابات الثلاث ، اغنية ..) يلحظ التطور الذي طرأ على قلم هذا الكاتب الشاب .

وايا كان هذا التطور فيمكن تلخيصه في أن القصة لديه اصبحت تستوعب احداثا وشخصيات لا يحد من عددها اطار ضيق .كما ان الاسلوب اضحى اكثر قوة وتماسكا.

ولست ارمي من وراء هذا التعليق السريع الى تناول قصة الخلاص بالتحليل والتفصيل ، ولكنها مجرد خواطر اود ان اسجلها ، فلا يمكن الحكم على عبد العزيز السريع بعد ، سواء في مجال كتابة المسرحية او القصة .. لان خطواته على الدرب لم تكتمل .. بل انها تتخذ في كـــل نتاج جديد اتجاها واطارا جديدين .. كل الحكم الذي يمكننا الوصول اليه : هو ان عبد العزيز السريع كاتب ينمو ولا يدع فرصة للاستفادة تفوته . الخلاص عبـــارة عن لحظة قلق متوترة ، ومجموعة من الشخصيات التي يأكلها القلق ، في انتظار لحظة الفرج،او لحظة الخلاص.

● الحارس الليلي الذي لا ينفك يتساءل عن الساعة ، « **وقد ظل طوال الوقت يفكر بالوقت والساعة وعيناه تبحثان عن شيء** » انه منتهى القلق والترقب .

● الزوجة الجميلة المتلهفة على وصول زوجها الشاب من سهرته ، « **وها هي ذي الساعة قد تعدت منتصف الليل ولم يعد سليم بعد ، انه يسهر كثيرا ولا تعلم اين يسهر ، ولماذا لا يأخذها معه ، ودائما هي قلقة ترقـــب الشارع من النافذة بعينيها اللتين يداعبهما النعاس** » .

● البقال القلق الذي يجلس في انتظار اخر زبون يكمل له المبلغ الذي يطمع في الوصول اليه ، « **شاب تخطى الثلاثين من عمره ، ترك رأسه مائلا على يده المنبسطة على المكتب وعيناه نصف مفتوحتين يشوبهما الاحمرار ، تتطلعان بين فترة وفترة الى الشارع عبر الزجاج** »

● والشاب الذي عاد من سهرته مع « الربـــع » ، يتجسد فيه التوتر والقلق ، فلقد نسى ما يريده بالضبط : « **لا .. ليس غريبا تماما فقد اعتاد مثله كثيرا ، انه فقط يريد شيئا من الوقت كي يتمكن من التذكر ولكن هيهات ان يتاح له الوقت الكافي** » .

كل هؤلاء القلقين يتبدد توترهم في السطور الاخـــيرة للقصة عندما يجد كل منهم لحظة الخلاص ، ودفعـــة واحدة ، جميعا تحين ساعة خلاصهم ، فالزوجة القلقة في انتظار الزوج الغائب تبتسم ، فزوجها قد عاد اخيرا ، والحارس الليلي لم يعد يسأل عن الساعة لان سيارة الحرس جاءت تزف اليه بشرى انتهائه من ورديته ، والشاب القلق لم يعد هناك ما يقلقه ، فقد تذكر اخيرا ما يريده ، والبقال الشاب بلغت مبيعاته الى الحد الذي كان يطمع فيه .. ولا داعي للانتظار والقلق بعد ذلك .

انها لحظة من الليل ، واخره بالضبط ، تجمع فيهـــا قلق زوجة وشاب وبقال وحارس .. وتصاعد في قصة جمعت لقطاتها لتبلغ ذروة النهاية في خاتمة الخلاص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأدب والمرحلة

عبد الصاحب الموسوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل سيكون مفيدا لو عرضنا هنا جوانب الارتباط العضوي بين الادب كارقى درجة من درجات التعبير الانساني وبين المسيرة الطويلة لتطور الانسان ؟ لا نظن ذلك بعد ان اخذ هذا الارتباط حقه وزيادة من الدرس والتقصي على مختلف مستويات الباحثين ، والذي يعنينا الان امر على جانب خطير من الاهمية يمكن ان نصوغه بالسؤال التالي :ـ

أين يقع عطاؤنا كأدباء من مسيرتنا كشعب ؟؟

على ان الاجابة ليست عسيرة اجمالا بالنسبة لكل الذين يتابعون الحركة الادبية

في عالمنا العربي ولكنها غير مطاوعه تفصيلا ، ولست الوحيد الذي يحس المرارة وهو يطالب بالادلاء بشهادة امام كل الناس عن قضية كهذه . وبكثير من الصبر والجلد يقتحم المعنيون غمار الاجابة ثم لا نلبث ان نعيد السؤال نفسه .. أين يقع عطاؤنا كادباء من مسيرتنا كشعب ؟

لقد فرغنا منذ زمن بعيد من دفن الافكار القائلة بان الادب ترف فكري يعيش في رؤوس المنعمين او الحالمين بالنعمة وينساب من بين اناملهم كلمات حريرية مضيئة تؤنسهم وتضفي متعا الى متعة الكؤوس والقيان ، دفنا هذه الافكار منذ وجدنا انفسنا نلهث وراء انسانيتنا حشودا اثر حشود في هجير البحث القاسي عن وجودنا كبشر ، وبقيت الطاقات الفكرية تبدع وتعطي غير بخيلة ولا مانعة ولكن ماذا كان العطاء بعد ان اختلفت الادوات بايدينا ؟

لا شك ان الظروف الشاذة في بلادنا العربية كانت تجد من يحميها ويدافع عنها فالتتريك على العهد العثماني والانتداب والحماية فيما بعد والاحلاف والارتباطات الواقفة بوجه الاستقلال والتحرر كل هذه المظاهر كانت لا تحرم من قوة ضاربة تدافع عنها بينما لا يجد شعبنا الا صبره واساليبه الخاصة في الرفض والاستنكار وكان الادب واحدا من تلك الاساليب ، فاختلاف ادوات الاديب بين ما كان يحتاج عمله في امسه المتخدر المشلول وبين ما يريد عمله اليوم كجزء متحرك نشط في ماكنة الشعب ليس اختلافا في الكلمات والتعابير كأن يضع مكان كل كلمة ناعمة كلمة وبرية او مكان كل تعبير خيالي تعبيرا فيه رائحة التراب والدماء . ليس هذا تغييرا في الادوات بل جهل في استعمالها ، الحقيقة ان الاديب واجه ازمة التغيير الوظيفي لادواته ذاتها فالكلمة الناعمة نفسها قادرة على الاستجابة للاحساس الجديد والخيال المترف نفسه قادر على تجسيد المأساة التي نعيشها بادراكنا الجديد ، وعندما استعد الاديب لسكب طاقاته في قالب الحاجة الاجتماعية وتذويب البلورات الذاتية البحتة والتخلص منها ، عندما استعد لتسليم عطائه سلاحا كفوءا بيد شعبه وقف حماة الاوضاع الشاذة ليصادروا منه هذا السلاح .. وبدأت المعركة وكسب العدو كثيرا من الاقلام والطاقات .. وكسب الشعب مثلها واكثر .

واذا كنا لمنشهد الى الان مسايرة ومعايشة اكيدتين بين ما يعطيه ادباؤنا وبين ما نحتاجه في كفاحنا ضد اعداء وجودنا كمسلمين وعرب فهذه الحقيقة تعود في نسبها الى ابوين غير شرعيين هما :

١ ــ تخلف الاديب عن استيعاب وتمثل واقعه كعضو فعال في مجتمعه وبالتالي انخفاض شعوره بالمسؤولية التاريخية التي يتحملها هو دون سواه .

٢ ــ خوف الاديب على مصالحه اليومية كعمله ومركزه في المجتمعات التي تتعاقب فيها المفاهيم السياسية المختلفة والمتضاربة على كراسي الحكم بين يوم واخر .

ومهما تكن التعقيبات على ذلك فاننا وباعتراف كافة الاتجاهات السياسية والفكرية في بلادنا العربية ندخل طورا جديدا وخطيرا لا مجال فيه للمناظرات والجدل وكل الذي يجب عمله الان هو تقريب المسافة بين الادب كعطاء وسلاح وبين المعركة التي يخوضها شعبنا العربي من اجل ارضه وسيادته .

ان رسالة الادب الواعي اليوم ليست اقل خطرا واهمية من كافة القوى الزاحفة لمحو الضلال والعدوان من بلادنا المغتصبة وكل كلمة يكتبها اديب عربي في مثل هذه الظروف يجب ان تكون متفجرة في رؤوس اعدائه مغيرة فعالة في مجرى الاحداث التي تفرض علينا فرضا .

وليكن اتجاه العمل الادبي في ظروفنا الراهنة هادفا الى فعلين متوازيين مؤثرين تأثيرا مباشرا في المفاهيم التي خلفتها الحرب الاخيرة لدى الجماهير وموجهين قويين نحو حقائق الموقف دون فبركة ولا تزويق فان شعبنا لا يعوزه الاندفاع العاطفي نحو قضيته ولكنه محتاج الى تعميق الادراك لهذه القضية وابعادها والفعلان هما :

١ ــ اسقاط كافة العقبات والموانع التي وضعتها الدعاية المعادية اثناء وبعد الحرب في طريق الثقة والطموح العربي وذلك بالتركيز الصادق الصريح على كشف جوانب الذعر والخوف في صفوف الاعداء وصانعي امجادهم ، وكلما كانت الدقة والمنطق السليم سائدين في هذاالاتجاه كلما نجح العمل الادبي اكثر فيالقضاء على اليأس عند الجماهير واعانهاعلى تلمس المستقبل المشرق الذي حاول العدو طمسه بدخان المدافع وكثافة الطائرات .

٢ ــ التدريب الفكري والنفسي المستمر على مواجهة جريئة للموقف الذي يجب أن نبادر اليه نحن لا العدو وفي هذا الاتجاه يجب ان يظهر العمل الادبي باخلاص وصدق ايضا كافة أوجه القوة الهائلة التي في معسكرنا بحيث يقف المواطن شامخا بايمانه بنفسه وقدرته وعدالة قضيته مستندا الى ملايينه المائة وطاقاته الطبيعية التي وهبه الله اياها في ارضه ومائه وكلما نجح العمل الادبي في اعطاء هذا الجانب ما يستحقه من اهمية كلما أشتد تماسك الصف وزاد عنادا وتمردا على الاعداء وبالتالي زاد دنوا من يوم النصر .

وهكذا فان الادب اليوم يتحمل اكثر من اي وقت مضى مسؤولية الجدية في عطائه والتجمع في مصب واحد جارف .

الحلقة الثانية

عمر أبو ريشة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب الغلاف

عمر أبو ريشة كما أعرفه

وتغرق السمار في تلك الليلة ، وأخذت أعد العدة بعد ذلك للسفر الى الهند وحان وقت السفر وحزمت حقائبي وتوجهت الى المطار . وما هي الا دقائـــق قليلة حتى وجدت نفسي على متن الطائرة وهي تخترق الغيوم ، هادرة ممزقة سكون الليل الاثيم وهنا استامت نفســـي للاسترخاء علني استطيع النوم بعض الوقت .

وهبطت الطائرة في مطار نيو دلهي فحمدت الله على السلامة ونزلت واذا بي اراني محاطا بثلة من الاصدقاء ومن الزملاء السفراء وكان عمر أبو ريشه قد شغل بعض الشيء ولم يتمكن من المجيء الى المطار . وعندما ذهبت الى مقر السفارة الكويتية وطفت بمكاتبها .. ذهبت الى حجرة النوم لارتاح قليلا من عناء السفر .

وفي المساء رن جرس التلفون واذا به الاستاذ عمر أبو ريشه . يريد ان يأتي لزيارتي فرحبت به وما هي الا دقائق قليلة حتى جاء الاستاذ عمر أبو ريشه . وبعد السلام والمجاملات قال انني كنت في الصباح مشغولا بوزارة الخارجية ولم اتمكن من الخروج الى المطـــار لاستقبالك والان اهلا وسهلا بك في الهند . انني سأكون تحت تصرفك ، وخبرتي في الهند رهن اشارتك . قال هذا عمر فشعرت بانني فعلا بجنب اخ عزيز فشكرته . وبعد ذلك اخذنا نتبادل اطراف الحديث ، فحدثني كثيرا عن الهند ، وعن صداقته الشخصية بالراحل العظيـــم نهرو وان له كثيرا من الاصدقاء من الشخصيات الكبيرة . وسوف يعرفني عليهم في المستقبل القريب ، فأعجبت به ايما اعجاب وحمدت الله على انني تعرفت عليه . وثمة قال دعنا نذهب للعشاء خارج الاوتيل ، وذهبنا لتناول العشاء ، وكنا ثلاثة اشخاص ،

الاستاذ سليمان ابو غوش
والاستاذ عمر أبو ريشه
وانـــا

ومن المعروف عن الاستاذ سليمان ابو غوش انه مرح حاضر البديهة سريع النكتة واسع الافـــق .. وبدأنـــا الحديث وبدأ الاستاذ سليمان يروي النكت التي تجري على لسانه وما توحيه الجلسة . وهنا رأينا الاستاذ عمر أبو ريشه يفكر طويلا ثم ينطلق بالضحـــك على النكتة الاولى ، بينما الاستاذ ابو غوش قد انتهى من حكـــاية النكتة الثانية او الثالثة . وهنا سألته ممازحا الم تفهم النكتة الاولى يا عمر بك ؟ فقال ارجو معذرتي لانني بطيء الفهم في النكت . والاستاذ سليمان بعيد الغور في هـــذا الميدان . ومن هنا انطلقنا بتلك الجلسة انطلاقة الاحباب الذين لا تكلف بينهم . واضفى الاستاذ سليمان على تلك الجلسة جوا من المرح . ومن هنا لمست من الاستـــاذ عمر ابو ريشه كل الدلائل التي تبشر بالخير لازدهـــار علاقتنا ومن ثم اخذت تزداد اخوتنا رسوخا . فعرفت من عمر انه كان تلميذا في الجامعة الامريكيـــة ببيروت وتخرج فيها ثم ذهب الى انجلتـــرا . ومكـــث سنتين للتخصص في علم الكيمياء . وعندما انهى دراسته رجع ، واتجه للادب وبرز فيه وهو يجيد عدة لغات كتابة وقراءة. منها :

اللغة الفرنسية . اللغة الانجليزية . اللغة الالمانية . اللغة التركية . اللغة الاسبانية . اللغة البرتغالية بجانب اللغة العربية .

وهو الان عضو المجمع العلمي بدمشق وعضو المجمع الادبي البرازيلي والبرتغالي وقد حصل على اكليل الغار من المجتمعين ١٩٥٢

وقد ترجمت اشعاره الى عدة لغات ، منها الروسية والانجليزية والاسبانية والفرنسية .

وقد نشر من مؤلفاته :

١ ـــ مسرحية الطوفان . ٢ ـــ شعر . ٣ ـــ من عمر أبو ريشه . ٤ ـــ ذى قار . ٥ ـــ مسرحية عذاب .

اما الكتب التي لم تنشر بعد فهي :

١ ـــ الملاحم ايام العرب في الجاهليـــة والاسلام . ٢ ـــ تاج محل . ٣ ـــ كاجوراو . ٤ ـــ نساء . ٥ ـــ بيت وبيتان . ٦ ـــ مذكرات عمر ابو ريشه . ٧ ـــ السيد السفير .

اما الان وقد عرفنا عن الاستاذ عمر ابو ريشه بـــأن تخصصه علميا ، فكيف حدث واتجه الى الادب فبرز به . هذا ما اريد ان اتكلم عنه في الحلقات القادمة .

اما الان فانني اريد ان اعطي القارىء الكريم نبذة عن اخلاق عمر ابو ريشه .

عندما يطالعك عمر فانك حتما ترى فيه الانسان الحق، الانسان الشهم الكريم ، لان ملامحه تدل على ذلك ، فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوداعة والطيبة دونما ابتذال ، فيه القوة والعنفوان دونما تعجرف او تكبر ، شامخ على من يدعى الشموخ ، بسيط متواضع مع البسطاء من الناس ، يحب الناس وتستهويه المواقف الانسانية ويضحي لاجلها من ماله راحته ووقته .

واننى اسوق اليكم حادثة بسيطة تدل على ما لهذا الرجل من شهامة وكرم .

حدث ان احد السفراء اتهم خادميه بسرقة وسلمهما للشرطة . وقد عرف عمر ابو ريشه عن الحادث ، وبما انه يعرفهما شخصيا لانهما سبق وان خدما عند عمر ابو ريشه مدة طويلة . عندما كان سفيرا لسوريا في الهند قبل الوحدة ، لهذا ذهب عمر ابو ريشه للسفير يتوسط لهما لاخراجهما من السجن . فرفض ذلك السفير اخراجهما . وهنا قال عمر انني مستعد لان ادفع لك المبلغ الذي اتهمتهما به على ان تخرجهما من السجن ويقدما للمحاكمة فرفض ايضا . فلم يكن من عمر ابو ريشه الا ان طلب من احد اصدقائه في وزارة الخارجية الهندية . التوسط لاخراجهما من السجن تحت كفالته . وفعلا قد تم ذلك . وذهب الخادمان ليشكرا السيد عمر ابو ريشه وسالهما عن حاجتهما للمبلغ الذي سوف يدفع للمحامي بالنسبة للقضية . فسلمهما ذلك المبلغ من جيبه الخاص .

وحادثة اخرى كادت تعصف ببقايا الحب للانسانية في قلبه الكبير . كان عمر سفيرا لسوريا في البرازيل فتعرف عليه احد الادباء هناك وهو من اصل سوري ، وهو خطيب مفوه وزوجته كانت استاذة في احدى الجامعات هناك . فاحتضنه عمر ابو ريشه وافرد له في بيته غرفة خاصة فاقام هذا الرجل في بيت عمر مدة سنتين وكان يصرف عليه من جيبه الخاص . وعندما حان موعد انتقال عمر ابو ريشه حزم حقائبه وبقيت سيارته التي تساوي في ذلك الوقت ١٥٠٠٠ خمسة عشر الف دولار تسلمها له ليبيعها ثم يحول ثمنها لعمر ابو ريشه عندما يطلب المبلغ منه ، وسافر عمر وباع صاحبه السيارة ، وطالبه عمر بتحويل المبلغ ولم يحوله وقد مضى على هذه الحادثة الان ما لا يقل عن ١٧ سنة . وفي الواقع ان هذه الحادثة كادت ان تعصف بجوانب الانسانية في قلبه الكبير ، واراد ان يكفر بالقيم الاخلاقية عند الانسان وانه يجب ان لا يكون طيبا رحيما مع الناس . وقد علقت هذه الفكرة مدة طويلة فأصبح في مد وجزر وصراع داخلي عنيف . بين قوى الشر وقوى الخير في نفسه ، وزادت حيرته عندما مرض ابنه شافع بشلل الاطفال . وكان عمر في ذلك الوقت في ضائقة مادية ، وحدث صدفة ان سمع احد اصدقائه في الارجنتين بأن ابن عمر ابو ريشه مصاب بشلل الاطفال وان عمر يمر بضائقة مادية وان عليه ان ينقذ ابنه من هذا المرض ، فأرسل ذلك الصديق رسالة الىعمر ابو ريشة وداخلها شيكين، شيك بخمسة الاف دولار امريكي ، وشيك بالاسترليني مفتوح لاي مبلغ يريده عمر . ومن هنا بدأت قوى الخير في نفسه تتغلب فعاد عمر الى طبيعته السمحة وعالج ابنه وشفى والحمد لله ، فعادت تلك الابتسامة تتربع على شفاهه وعادت نفسه الطيبة المعطاء تبذل الخير وتغرس جذوره في قلوب محبيه وعادت ليالي الانس في حياته فاصبحت القوافي تتراقص ممراحة على شفتيه ، فكانت مساء الخير .

مساء الخير

كاد الليل يسحب ستره عنا
وما زلنا نهز الشوق ان اغفى او استانى
فلا اكبادنا تروي ولا اقداحنا تفنى
ولكن طالما خفنا من العذال ما خفنا

مساء الخير

خلي الجفن يلقي الفه الجفنا
وطوفى في نعيم الحلم من مغنى الى مغنى
ولفي بيض اطيافي على اهدابك الوسنى

مساء الخير

هذى قبلة عجلى فما اهنأ
وهذى ضمة اخرى فما أشفى وما احنى
أأمضي ؟ من يطيق البعد عن فردوسه الاسنى ؟
وقيم نقيم للعذال يا حوريتي وزنا
ليات الفجر ولينقل حكاية حبنا منا